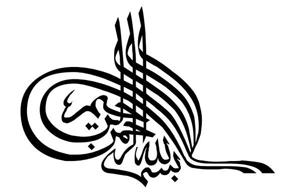
الوحدة الإسلامية

في نظر أهل البيت عليهم السلام

الشيخ حسين الراضي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ



مقدمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد الحمد الذي شـــرع الإسلام فسهّل شرائعه لمن ورده وأعز أركانه على من غالبه فجعله أمناً لمن عقله وسلماً لمن دخله ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الذي دعـــا إلى طاعـــة الله وجاهد لدينه بعد أن كانت الملل مُتفرقة والأهواء مُنتشـــرة والطرائـــق مُتشتّتة بين مُشبَّهٍ لله بخلقه وملحد في اسمه أو مشير إلى غيره فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة ، وعلى آله الطيبين الغر المحجلين أما بعد :

فإن وحدة الأمة الإسلامية تعني القوة والمتانة التي تشكل حاجزاً منيعا ضد اختراق العدو لها .

فالعدو يتحرك ليلاً نهاراً للسيطرة على خيرات هذه الأمة من جهـــة ، ومن جهة أخرى يقف ضد انتشار المد الإسلامي .

فالأمة الإسلامية تواجه تحديات كثيرة تتجلى مصـــاديقها في المحاربـــة الفكرية والثقافية والعسكرية ، ونقصد بالمحاربة الفكرية الغزو الثقـــافي الذي يهدد الإسلام كل الإسلام بمختلف مذاهبه وطوائفه ، لا يفرق بين شيعي وسني ولا منطقة دون منطقة ، ولا عربي دون أعجمـــي وهـــذه الحرب تعم المسلمين جميعاً ، كما أن الحرب العسكرية هي لصالح العدو في المناطق الإسلامية وأقل شاهد على ذلك مـــا يجـــري في فلســـطين

وأفغانستان والعراق فالعدو قد عاث فساداً ونهباً لخيرات المسلمين ومازال -العدو- يخطط لبقية الدول الإسلامية الأخرى .

لذا نقول : أما آن للأمة الإسلامية أن تتكاتف وتتعاون ، وتكون كالبنيان يشد بعضه بعضا في ظرف عالمي دقيق لا تنهض فيه أمة إلا إذا كانت متكاتفة يقضه ؟ ! .

أما آن للشيعة والسنة اللتين فرقتهما السياسة أن تجمعها فإن السياسة التي فرقت صفوفهما بالأمس قادرة على أن تؤلف بين قلوبهما اليوم ، وليس بين الطائفتين ولا الطوائف الأخرى اختلاف جوهري في الدين يوجب اتساع الشقة وبقاء الخلاف طوال السنين ، فالله واحد والقرآن واحد والنبي واحد ، وليست الاختلافات في الفقه إلا اختلافات اجتهادية ، وهي موجودة في كل مذهب من المذاهب الخمسة كما يعرفها المتتبعون الواقفون على فقه هؤلاء جميعاً .

فحق على المسلمين ، الذين ينشدون عزهم اليوم ، أن يلبوا داعي الوحدة الإسلامية بين الأمة لإعلاء كلمة الله والتعاون فيما بينهم على قمع الفساد والإلحاد والاستعمار فإن الخلاف بينهم لا يخدم الإسلام بل يهدمه ، ولا يحقق فيهم سوى ما اكتووا بناره من ذل وعبودية لغير رب العالمين { وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } [١]،{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ

---

[١] سورة الأنفال (٤٦)

تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ }[2] ،{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }[3] .

ولنا هنا وقفة مع إمام الأمة أمير المؤمنين عليه السلام المثال الحي والقدوة الصالحة الواضحة في وحدة الأمة الإسلامية فقد ورد عنه قوله عليه السلام في هذا الجانب :

(والزموا السواد الأعظم فإن يد الله مع الجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشاذ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب)[4].

فهنا يشدد أمير المؤمنين عليه السلام على الجماعة وإن يد الله مع الجماعة لا مع الفرد والفردية بل أن الفردية وما عبر عنها عليه السلام بالشاذ فهي للشيطان وليست لله سبحانه وتعالى.

وقال أيضاً :(والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة ، وبنيت عليه أركان الطاعة) [5] .

فإن الإسلام دين التوحيد وتوحيد الكلمة فكل ما يدعو لرص الصفوف والجماعة فهو مطلوب مع موافقته لطاعة الله ورسوله.

---

[2] سورة آل عمران (١٠٥)

[3] سورة الأنعام (١٥٩)

[4] نهج البلاغة خطبة ١٢٧

[5] نهج البلاغة خطبة ١٤٩

وقال إمام الموحدين عليه السلام :(فإياكم والتلون في دين الله ، فإن جماعة فيما تكرهون من الحق ، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل ، وإن الله سبحانه لم يعط أحدا بفرقة خيرا ممن مضى ، ولا ممن بقي) ([٦]).

وقال أيضاً :(فإن الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الأمة ، فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة ، التي ينتقلون في ظلها ، ويأوون إلى كنفها . بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة ، لأنها أرجح من كل ثمن ، وأجل من كل خطر) ([٧]) .

هكذا كان يقول أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا كان يفكر وهكذا كان يأمل إمام الموحدين وإمام وحدة المسلمين وإمام المؤمنين الذي سخر كل أوقاته لخدمة الإسلام والمسلمين قدوة بسيد المرسلين.

وما سوف نتناوله في هذا الكتاب – وقد كان مقالات متعددة - عدة أمور :

١. بعض الأسباب والعوامل التي أدت إلى اختلاف الأمة وتقهقرها بل وتخلفها.
٢. كيف تكون الأمة أمة قوية ؟ أليس ذلك بوحدها أم بتفرقها {ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } .
٣. دور وحث النبي الأكرم (ص) على الوحدة بين الأمة .

---

[٦] نهج البلاغة خطبة ١٧٦

[٧] نهج البلاغة خطبة ١٩٢

٤. دور إمام الموحدين وإمام المؤمنين أمير المؤمنين علـــي بـــن أبي طالب (ع) في الوحدة مع مخالفته الشديدة لقضـــايا كـــثيرة في عصور الخلفاء الثلاثة .
٥. دور الإمام الحسن الزكي عليه الســـلام في تهدئـــة الأوضـــاع السياسية ولملمت الأوضاع من أجل الحفـــاظ علـــى الهـــدوء والاستقرار وعدم تشـــتت المـــؤمنين والمؤمنـــات والمســـلمين والمسلمات وتفرقهم .
٦. دور سيد الشهيد الإمام الحسين u باعتباره رمـــز للوحـــدة باستيعاب الأمة له في كل جوانبه .
٧. كما تحدثنا عن دور العلماء في توحيد الأمة وذكرنـــا بعـــض الأمثلة على ذلك ومنهم : الشيخ البهائي (قدس سره) .
٨. كما تناولنا كيفية التعايش مع الآخـــرين ونقصـــد الآخـــرين المخالفين لك في الأمـــور الدينيـــة -المذهبيـــة-والسياســـية والاجتماعية وغير ذلك ، وكيف كان أسلوب النبي الأعظـــم (ص) ووصيه الأقوم في التعايش مع الآخرين .
٩. وأخيراً تعرضنا إلى دور علماء الشيعة الأعلام في منع التعـــرض للمسلمين عامة بالتحقير والإهانة والتعرض لهم بالكلام البذيء وذلك انطلاقاً من موقف مذهب أهل البيت وحفاظـــاً علـــى الوحدة الإسلامية .

نرجو من العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح وأن يتقبل منـــا هذا القليل بقبول حسن إعلاء لكلمته وتوحيداً لصفوف أمـــة رســـوله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رســـوله الكـــريم وآلـــه الطيبين الطاهرين .

الفصل الأول

من أسباب

اختلاف الأمة

كثير من الكتاب والمصلحين العالميين ينادون بحوار الحضارات وتقارب الأمم وتداخلها ويسعى الكثير أن يردم الهوة بين الناس حتى يقضى على الحروب الطاحنة التي حصدت عشرات الملايين من البشر .

جاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قبل ١٤ قرن من الزمن إلى الناس كافة يدعوهم إلى عبادة الله ويوحدهم تحت شعار واحد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

حرص الرسول (ص) على توحيد الأمة

عالمية رسالته(ص) تستوجب توحيد الناس تحت شعار واحد وهي كلمة التوحيد ، وحينئذ على من دخل تحت هذا الشعار طواعية وآمن بالله ورسوله أن يحقق تلك الأهداف ومنها أن يكونوا أمة واحدة معتصمين بحبل الله مبتعدين عن الشقاق والنفاق والتفرقة فيما بينهم ، وعليهم أن يتذكروا الحالة التي مروا بها من التشرذم والتفرقة فيما بينهم

وكل واحد أو جماعة تغزو الأخرى لأتفه الأمور فلا أمن ولا أمان وقد تبدل كل ذلك بسبب نعمة الإيمان بالله قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[٨] هاتان الآيتان تعرض حرص الرسول على سعادة البشرية جمعا وبالأخص من آمن برسالته فيأمرهم :

١. بتقوى الله حق تقاته .
٢. أن يختم لهم بالسعادة حيث يموتون على الإيمان والإسلام.
٣. أن يتوحدوا فيما بينهم سنة وشيعة ، عرباً وأعاجم .
٤. أن يذكروا الذل الذي كانوا عليه قبل الإسلام وتبدله إلى العز بعد الإسلام . حيث كانوا أعداء فألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخواناً .
٥. أنهم قبل الإسلام كانوا على حافة الهاوية في السقوط في نار جهنم لما يمارسونه من أسباب الدخول فيها ثم أنقذهم الله منها .

خطر التفرقة

---

[٨] آل عمران /١٠٢ - ١٠٣

ففي هذه الآية ينهاهم عن التفرقة والتشتت فيقول { وَلاَ تَفَرَّقُواْ } وفي الآية اللاحقة يقول : { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[٩] فيحذرهم أن يقعوا في الورطة والمصيبة التي وقع فيها غيرهم من الأمم السالفة وهو الاختلاف والتفرقة حتى أصبحوا ضعفاء بعد أن كانوا أقوياء .

هل الاختلاف حالة صحية أم مرضية :

لا بد أن ينظر إلى الاختلاف من زاويتين مختلفتين :

الأولى : الزاوية الايجابية وهي أن الاختلاف حالة صحية وظاهرة طبيعية .

الثانية : الزاوية السلبية وهي أن الاختلاف يشكل حالة مرضية خطيرة .

أما الزاوية الأولى : الاختلاف ظاهرة طبيعية : يمكن التعرف على هذه الزاوية من خلال ملاحظة أن الاختلاف يشكل زاوية إيجابية حيث أن الاختلاف في الأفكار والرؤى والمعيشة والآمال من الأمور الطبيعية التي لا يعيش البشر بدونها ولابد أن تقع بل لو لم تقع وأريد من الناس أن يكونوا على مستوى واحد من التفكير والرؤى والذكاء والآمال لاصطدم بالفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والحياة قائمة على ذلك فتضم الفقير والغني والرئيس والمرؤوس والأبيض والأسود والرجل

---

[٩] آل عمران /١٠٥ .

والمرأة والقوي والضعيف وقوي الإدراك وضعيفه وربما تشير بعض الآيات إلى أن إرادة الله قد شاءت ذلك حتى يكون فيما بينهم التنافس في الخير والابتعاد عن الشر وبناء على ذلك يكون استحقاق الثواب أو العقاب قال تعالى : { وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }[١٠] وقال تعالى : { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } هود/١١٨ .

وحول تفسير الآية الأخيرة قال السيد الطباطبائي :

(الاختلاف : ويقابله الاتفاق من الأمور التي لا يرتضيها الطبع السليم لما فيه من تشتيت القوى وتضعيفها وآثار أخرى غير محمودة من نزاع ومشاجرة وجدال وقتال وشقاق كل ذلك يذهب بالأمن والسلام ، غير أن نوعا منه لا مناص منه في العالم الإنساني وهو الاختلاف من حيث الطبائع المنتهية إلى اختلاف البنى فان التركيبات البدنية مختلفة في الأفراد وهو يؤدى إلى اختلاف الاستعدادات البدنية والروحية وبانضمام اختلاف الأجواء والظروف إلى ذلك يظهر اختلاف السلائق والسنن والآداب والمقاصد والأعمال النوعية والشخصية في المجتمعات الإنسانية ، وقد أوضحت الأبحاث الاجتماعية أن لولا ذلك لم يعش المجتمع الإنساني ولا طرفة عين . وقد ذكره الله تعالى في كتابه ونسبه إلى

---

[١٠] الشورى / ٨ .

نفسه حيث قال : { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا } الزخرف / ٣٢ .

ولم يذمه تعالى في شيء من كلامه إلا إذا صحب هوى النفس وخالف هدى العقل .[١١]

ومن هذا الاختلاف الجائز والذي لا بد منه هو اختلاف وجهات النظر الاجتهادية بين المسلمين بل مطلق الرؤى الفكرية سواء كان على مستوى العقائد أو الأحكام الفقهية أو التاريخية بل والسياسية فإن المسلمين جميعا وإن كانوا يؤمنون بالله رباً وبمحمد المصطفى صلى الله عليه وآله نبياً وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلة إلا أن أخذ الأحكام الشرعية والأوامر والنواهي من الرسول مباشرة لم تتسن للمعاصرين له الذين لم يكونوا بالمدينة المنورة فكيف بمن يفصل بينه وبين عصر النبوة أكثر من ١٤٠٠ سنة فلابد حينئذ من طرق اجتهادية تحتاج إلى التخصص وإعمال وبذل الجهد والطاقة للوصول إلى تحديد الوظيفة العملية له ولغيره ممن يرجع إليه في مختلف المجالات أو التعرف على الرؤى الإسلامية .

ولأسباب عديدة لابد من اختلاف الآراء الناتجة عن اختلاف القدرات العلمية واختلاف فهم القرآن الكريم واختلاف الروايات الواردة في السنة كل ذلك يؤدي إلى اختلاف النتيجة وكلما بعد الزمن كثر

---

[١١] تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١١ - ص ٦٠ - ٦١

الاختلاف بين العلماء والمجتهدين وعليه تتعدد الفرق والفئات تبعاً لتعدد الآراء .

اختلاف المتقدمين في صدر الإسلام

نحن إذا رجعنا إلى صدر الإسلام لرأينا الاختلاف قد وقع من الصحابة في عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ثم من بعده كثر الاختلاف ثم من التابعين وتابعي التابعين ثم من الرواة والعلماء إلى يومنا هذا وقد ألف عدد من العلماء حول هذا الاختلاف عدة كتب منهم : محمد بن أبي بكر محمود السروي كتاباً بعنوان (اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المجتهدين) [١٢] ولأجل التدليل على وقوع الاختلاف فيما بينهم أشير بصورة مختصرة إلى بعض أسماء تلك الكتب التي عرضت الاختلافات الفقهية .

الاختلاف عند أهل السنة :

كما ذكرنا سابقاً يوجد أكثر من كتاب من كتب أهل السنة التي تعرض اختلاف وتعدد الآراء عندهم في العقيدة والأحكام قديماً وحديثاً منها :

١ -اختلاف مالك والشافعي : لمحمد بن ادريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ ذكره ابن النديم .

---

[١٢] مقدمة اختلاف الفقهاء للمروزي ص ٥٦ . وقال أن نسخة منه كتبت سنة ٦٥٧ دار الكتب برقم ١٧٢٤ .

٢ -كتاب (اختلاف الفقهاء) المؤلف أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي المولود سنة ٢٠٢ هـ والمتوفى ٢٩٤ هـ أي عاش في القرن الثالث الهجري ، قيل أنه على مذهب الشافعي ، ويتحدث عن اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية ويبدأ من باب الطهارة إلى باب السير . طبع الكتاب بتحقيق الدكتور محمد طاهر حكيم . نشر مكتبة أضواء السلف . وأشار ابن النديم إلى كتابين له في هذا الموضوع أحدهما صغير والآخر كبير .

٣ -الاختلاف في الفقه : للساجي . ذكره ابن النديم .

٤ -اختلاف الفقهاء : لمحمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ صاحب التاريخ . الكتاب مطبوع.

٥ -اختلاف الفقهاء : لمحمد بن إبراهيم بن المنذر المتوفى ٣١٨ هـ .

٦ -اختلاف الفقهاء : وذكر ابن النديم بعنوان (الاختلاف بين الفقهاء) للطحاوي حمد بن محمد بن سلمة الأزدي المتوفى ٣٢١ هـ .

وقد ألف العلماء في الخلافيات عشرات الكتب من قديم الزمان وقد ذكر جملة منها ابن النديم في الفهرست في عدة مواضع من كتابه ، وكذلك غيره .

الاختلاف عند الشيعة :

الشيعة الإمامية كغيرهم من فرق المسلمين قد اختلفوا فيما بينهم عقائدياً وتاريخيا وفي الحديث والأحكام كما اختلفوا في الإمامة أيضاً ،

وأن هذا الاختلاف من الأمور الطبيعية التي لابد أن تقع بين الأمم خصوصاً بعد تباعد الزمن ، بل وقع الخلاف بين أصحاب الأئمة مع وجود الأئمة عليهم السلام وقد رد بعضهم على بعض بكتب قد ذكرت في ضمن تراجمهم .

ألّف الشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ هـ كتاب (الاعتقادات) وعرض فيه جملة من اعتقادات الشيعة ، ثم اعترض عليه الشيخ المفيد المتوفى ٤١٣ هـ حول مسائل عديدة ورد عليه بكتاب بعنوان (تصحيح الاعتقادات) والكتابان مطبوعان منتشران .

وفي الجانب الفقهي باب الاجتهاد مفتوح من بعد وفاة الأئمة عليهم السلام وإلى يومنا هذا وفي الخلافيات ألف علماؤنا الأعلام عدة كتب ، ويعرف الآن بالفقه المقارن سواء كان بين السنة والشيعة من جهة أو بين الشيعة أنفسهم.

فمن القسم الأول :

١ -الخلاف : للشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ في ٤ مجلدات طبع أكثر من مرة .

٢ -تذكرة الفقهاء : للعلامة الحلي المتوفى ٧٢٦ هـ طبع أكثر من مرة والطبعة المحققة خرج منها ١٤ مجلد .

ومن القسم الثاني عدة كتب أشهرها : كتاب المختلف للعلامة الحلي المتقدم ذكره . طبع الكتاب أكثر من مرة والطبعة المحققة الأخيرة تقع في ١٠ مجلدات .

وهكذا عرف مذهب أهل البيت عليهم السلام.ومن أبرز سماته هو فتح باب الاجتهاد ليس في الجانب الفقهي فقط بل في كل ميادين الفكر والمعرفة ، في الفقه وعلم أصول الفقه ، وأصول الدين و الفلسفة والعرفان وعلم الكلام وعلوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث والتاريخ واللغة العربية وغيرها وها هي المؤلفات في هذه العلوم منتشرة والمناقشات والأخذ والرد قائم على قدم وساق ، وإن حصل من بعض الأطراف في بعض الحالات مصادرة هذا الحق إلا إن هذه السمة تبقى سارية المفعول عند الجميع وتبقى شمعة مضيئة لمن أراد الحق والتعرف عليه لا تنطفي .

الزاوية الثانية :

الزاوية السلبية وهي أن الاختلاف يشكل حالة مرضية خطيرة.

وهي أن تتحول تلك الحالة الايجابية من فتح باب الاجتهاد وإبداء الرأي ، والرأي الآخر والوصول إلى الحق والأخذ به وإثراء الأمة الإسلامية في ثقافتها وإعطاء وجه مشرق لما يحتوي عليه الدين الإسلامي من حرية في الرأي والعقيدة وتقدم في مختلف المجالات التقدمية تتحول إلى حالة من التشنج والسباب والتضليل والتكفير ثم تتطور إلى حروب

طاحنة تأكل الأخضر واليابس والبريء وغيره ليست على الغزاة والمستعمرين وإنما هي على الأمة الإسلامية بعضها على بعض حتى انشغلت على نفسها طيلة ١٤ قرنا من الزمن بحجج واهية أوهى من بيت العنكبوت.

ثم إن هذا الاختلاف والتفرق والتمزق ليس من الدين في شيء بل هو من هوى النفس والأطماع الدنيوية والجهل والتخلف ، وابتعادهم عن ربهم ، ومن السياسة الباطلة التي يراد منها السيطرة على المحرومين بالحيل والخدع وابتزاز ثرواتهم واستعبادهم لذلك ترى بعض الساسة يكفرون عددا من العلماء بحجة مخالفتهم للدين وهذا الاختلاف في الأمة هو في الواقع ضد الدين وهو سرطان يقضي على الدين لأنه من داخلها فهو أضر عليها من أعدائه الخارجيين ولأجل توضيح هذه الفكرة ننقل لكم كلام السيد الطباطبائي فبعد كلامه حول الاختلاف الأول من الزاوية الإيجابية قال :

(وليس منه الاختلاف في الدين فان الله سبحانه يذكر انه فطر الناس على معرفته وتوحيده وسوى نفس الإنسان فألهمها فجورها وتقواها ، وان الدين الحنيف هو من الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ولذلك نسب الاختلاف في الدين في مواضع من كلامه إلى بغى المختلفين فيه وظلمهم و { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } الجاثية/١٧ .

وقد جمع الله الاختلافين في قوله : {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ - وهذا هو الاختلاف الأول في الحياة والمعيشة - وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ - وهذا هو الاختلاف الثاني في الدين - إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[١٣] فهذا ما يعطيه كلامه تعالى في معنى الاختلاف .

والذي ذكره بقوله : {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } يريد به رفع الاختلاف من بينهم وتوحيدهم على كلمة واحدة يتفقون فيه ، ومن المعلوم انه ناظر إلى ما ذكره تعالى في الآيات السابقة على هذه الآية من اختلافهم في أمر الدين وانقسامهم إلى طائفة أنجاهم الله وهم قليل وطائفة أخرى وهم الذين ظلموا .

فالمعنى أنهم وان اختلفوا في الدين فإنهم لم يعجزوا الله بذلك ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة لا يختلفون في الدين فهو نظير قوله : {وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} النحل / ٩

وقوله : { أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا } الرعد / ٣١ .

---

١٣ البقرة / ٢١٣

وعلى هذا فقوله : { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } إنما يعنى به الاختلاف في الدين فحسب فإن ذلك هو الذي يذكر لنا أن لو شاء لرفعه من بينهم ، والكلام في تقدير : لو شاء الله لرفع الاختلاف من بينهم لكنه لم يشأ ذلك فهم مختلفون دائما . على أن قوله : {إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ } يصرح انه رفعه عن طائفة رحمهم ، والاختلاف في غير الدين لم يرفعه الله تعالى حتى عن الطائفة المرحومة وإنما رفع عنهم الاختلاف الديني الذي يذمه وينسبه إلى البغي بعد العلم بالحق .

وقوله : { إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ } استثناء من قوله : { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } أي الناس يخالف بعضهم بعضا في الحق أبدا إلا الذين رحمهم الله فإنهم لا يختلفون في الحق ولا يتفرقون عنه ، والرحمة هي الهداية الإلهية كما يفيده قوله:{ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ } البقرة / ٢١٣ .

- إلى أن يقول - ومن أحسن ما يؤيده قوله تعالى : {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }[١٤] حيث عبر عن الاختلاف بالتفرق ، وكذا قوله : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }[١٥] وهذا أوضح دلالة من

---

[١٤] الشورى / ١٣

[١٥] الانعام / ١٥٣

سابقه فإنه يجعل أهل الحق الملازمين لسبيله خارجا من أهل التفرق والاختلاف .

ولذلك ترى انه سبحانه في غالب ما يذكر اختلافهم في الكتاب يردفه بارتياهم فيه كقوله فيما مر من الآيات : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ }[١٦] وقد كرر هذا المعنى في مواضع من كلامه .

وقال تعالى : {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [١٧] أي يأتي فيه كل بقول يبعدهم من الحق فيتفرقون .

وقال : {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ* يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ}[١٨] أي قول لا يقف على وجه ولا يبتنى على علم بل الخرص والظن هو الذي أوجده فيكم .

وفي هذا المعنى قوله تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}[١٩] فإن هذا اللبس المذموم منهم إنما كان بإظهار قول يشبه الحق وليس به وهو إلقاء التفرق الذي يختفي به الحق .

---

[١٦] هود / ١١٠.

[١٧] النبأ / ١-٣

[١٨] الذاريات / ٨- ١٠

[١٩] آل عمران / ٧١

فالمراد باختلافهم إيجادهم أقوالا وآراء يتفرقون بها عن الحق ويظهر بها الريب فهم لا تباعهم أهواءهم المخالفة للحق يظهرون آرائهم الباطلة في صور متفرقة تضاهي صورة الحق ليحجبوه عن أفهام الناس بغيا وعدوانا بعد علمهم بالحق فهو اختلافهم في الحق بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم .

ويتبين بما تقدم على طوله أن الإشارة بقوله : { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } إلى الرحمة المدلول عليه بقوله :{ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ } والتأنيث اللفظي في لفظ الرحمة لا ينافي تذكير اسم الإشارة لان المصدر جائز الوجهين ، قال تعالى : { إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} وذلك لأنك عرفت أن هذا الاختلاف بغي منهم يفرقهم عن الحق ويستره ويظهر الباطل ولا يجوز كون الباطل غاية حقيقية للحق تعالى في خلقه ، ولا معنى لان يوجد الله سبحانه العالم الإنساني ليبغوا ويميتوا الحق ويحيوا الباطل فيهلكهم ثم يعذبهم بنار خالدة ، فالقرآن الكريم يدفع هذا بجميع بياناته .

على أن سياق الآيات - مع الغض عما ذكر - يدفع ذلك فإنها في مقام بيان أن الله تعالى يدعو الناس برأفته ورحمته إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم من غير أن يريد بهم ظلما ولا شرا ، ولكنهم بظلمهم واختلافهم في الحق يستنكفون عن دعوته ، ويكذبون بآياته ، ويعبدون غيره ، ويفسدون في الأرض فيستحقون العذاب ، وما كان ربك ليهلك

القرى بظلم وأهلها مصلحون ، ولا أن يخلقهم ليبغوا ويفسدوا فيهلكهم فالذي منه هو الرحمة والهداية ، والذي من بغيهم واختلافهم وظلمهم يرجع إليهم أنفسهم ، وهذا هو الذي يعطيه سياق الآيات)[20].

والحاصل : أن هذا الاختلاف القائم على هوى النفس وحب الدنيا والبغي على الآخرين ليس من الدين في شيء بل هو أبعد ما يكون عن الدين بل محاربة إلى الله ورسوله وما جاء به من عند الحق .

وقد أحس عدد من العلماء والمفكرين من السنة والشيعة - مع قوله بحرية الرأي وفتح باب الاجتهاد - بخطر هذا الاختلاف المؤدي إلى التفرقة والتشتت والحروب المدمرة وهنا أشير إلى كتاب كتبه بعض علماء الأزهر الشريف بعنوان (ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين) لمؤلفه الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر شيخ كلّيتي أصول الدين وكلية اللغة العربية في الجامع الأزهر بمصر .

وقد تحدث في مقدمة كتابه هذا حول الاختلاف من الزاوية الأولى المتقدمة وأنه أمر طبيعي يثري الأمة بقوله : (ولما كان اختلاف الأنظار ، وتشعب الآراء تبعاً لذلك مما تقتضيه طبيعة الإنسان ولا يمكن الانفكاك عنه – إلى أن قال – لهذا كان السلف الصالح من العلماء يعذر بعضهم بعضاً إذا ما اختلفوا فيها ، ولا يعيب أحد منهم رأياً رآه

---

[20] تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١١ - ص ٦١- ٦٤

غيره فكانوا بهذا أقرب في الوصول إلى الصواب وأسرع بلوغاً إليه إذا لمحوه ، وأقوى تمسكاً به إذا أدركوه ، وكان شعارهم جميعاً في ذلك هو أن الرجوع إلى الحق من أمهات الفضائل) [٢١]

ثم عرض في فصول متعددة نماذج من اختلاف الفقهاء بين المذاهب الإسلامية ففي :

الفصل الأول : الخلاف المعقول وغير المعقول .

الفصل الثاني : ما يسوغ في الخلاف بشرط عدم التعصب للرأي .

الفصل الثالث : ما لا يسوغ فيه الخلاف .

الفصل الرابع : ما يبطل العبادة عند قوم ولا يبطلها عند غيرهم .

الفصل الخامس : أخطر أنواع الخلاف .

الفصل السادس : بعض الخلافات التي تستلفت النظر . ومثل لكل فصل بأمثلة في الخلافات الفقهية .

الفصل السابع : بيان بعض أسباب هذه الخلافات المحزنة . وشرح بعض أسباب الخلاف بين الأمة .

الفصل الثامن : بعض آثار هذه الخلافات المحزنة . وذكر المآسي والآلام التي تمر بها الأمة جراء هذه الخلافات .

---

[٢١] ما لا يجوز فيه الاختلاف في بين المسلمين ص ٥-٦ .

وهكذا يستمر في عرضه لكلمات العلماء قديماً وحديثاً في أضرار التفرقة والتعصب لآراء محدثة ليست من الدين في شيء حتى سفكت الدماء المحترمة وسلبت الأموال وهتكت الأعراض . إلى أن يقول في :

الفصل السادس عشر : ما لا يجوز أن يكفر المسلمُ أخاه المسلمَ لأجله . ونقل فيه كلام جمال الدين القاسمي وغيره من العلماء ، بعدم تكفير أهل القبلة .

وفي الفصل السابع عشر : وهو الأخير نقل كلام أبي حامد الغزالي الذي عاش في القرن الخامس الهجري في كتابه (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وعرض فيه جملة من السلبيات الحاصلة بين المسلمين وبالأخص بين العلماء وتكفير بعض المسلمين لبعضهم الآخر لأسباب تافهة ، وكتاب (ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين) مطبوع في القاهرة عدة طبعات جدير بالمثقف ومن يحس بآلام الأمة وما تمر به من حالة مزرية أن يطلع عليه .

تمزق الأمة

إن الأمة الإسلامية مع الأسف الشديد تمر بمرحلة عصيبة وخطيرة جداً بسبب ابتعادها عن إسلامها ومفاهيمه ، وابتعادها عن عظمائها والجهل بهم وعدم معرفة أفكارهم وتوجهاتهم بل وثقافاتهم بصورة عامة وبالنتيجة ابتعدت الأمة عن إسلامها ومفاهيمه وليس ذلك للسواد الأعظم من الأمة بل حتى للطبقة المتخصصة في العلوم الشرعية من

العلماء ففيهم شريحة ليست بالقليلة من الأفكار المتحجرة وهي أبعد ما تكون عن الإسلام ومفاهيمه ولا يختص ذلك بمذهب من المذاهب الإسلامية بل شمل جميع المذاهب على اختلاف درجاتهم ففي الشيعة كما في السنة وفي الزيدية كما في غيرهم .

وإذا ما قدر لأحد هؤلاء المتحجرين أن يدرسوا حياة النبي صلى الله عليه وآله وحياة أهل بيته الأطهار أخذوا بالقشور وتركوا اللباب وأخذوا مع ما يتناسب من توجهاتهم وأفكارهم ورغباتهم الشخصية والعاطفية وما يتفق مع مصالحهم الشخصية أو تبريراً لأعمالهم السياسية والمذهبية ، فبدل أن تكون حياة هؤلاء العظماء نبراساً للأمة ونوراً تستضيء به في زحمة الظلام ويكون سبيل نجاة لها ومصباح هدى تقتدي به ومعياراً لتوحيد الأمة ورص صفوفها كما قال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٢٢] فبدل أن تكون كذلك أتخذ تحديراً للأمة وتمزيقها شر تمزيق واتخذا تبريراً لأعمال الظلمة وسلاطين الجور .

من أسباب الاختلاف

يمكن الإشارة إلى بعض أسباب الاختلاف بين الأمة فيما يلي :

---

[٢٢] ١١١/ يوسف

السبب الأول : ترك وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بالكتاب والعترة في الحديث المتفق عليه بين السنة والشيعة وهو حديث الثقلين قال الحر العاملي قد تواتر بين العامة والخاصة عن النبي صلى الله عليه وآله : (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما ليفترقا حتى يردا علي الحوض) [٢٣]

وفي لفظ الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم في كتابه السنة : عن النبي صلى الله عليه وآله قوله : (إني تارك فيكم خليفتين من بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) [٢٤]

وصححه الألباني لأجل شواهده . فلو أن الأمة تمسكت بالقرآن واهتدت بهدي العترة الطاهرة من أهل بيت رسول الله لاعتصمت من الضلال والانحراف .

السبب الثاني : الجهل والتخلف الفكري والثقافي لمن يتصدى للفتيا وهو ليس بأهل لذلك سواء كان من الناحية العلمية أو الاجتماعية أو السياسية فإن هذا يجر الويلات للأمة وقد يقودها إلى الهاوية فإن زلة العالِم زلة العالَم وهنا أذكر مثالين لمثل هذا الجهل والتخلف من مئات الأمثلة :

---

[٢٣] الوسائل ج ٢٧ ص ٣١ حديث ٣٣١٤٤ . الحديث أخرجه الترمذي في سننه والنسائي عن جابر بن عبد الله الأنصاري وأخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وأحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وغيرهم .

[٢٤] كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٣٣٧ حديث ٧٥٤

أ- ذكر ابن حجر حول تزويج الأب لابنته البكر إلا برضاها وأن سكوتها رضاها قال : في فتح الباري ج٩/ص١٩٤ (باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما) في ضمن كلام له :

(... وهي أحق بنفسها من وليها أنه لا ينفذ عليها أمره بغير أذنها ولا يجبرها فإذا أرادت أن تتزوج لم يجز لها إلا بإذن وليها واستدل به على أن البكر إذا أعلنت بالمنع لم يجز النكاح وإلى هذا أشار المصنف في الترجمة وإن أعلنت بالرضا فيجوز بطريق الأولى وشذ بعض أهل الظاهر فقال : لا يجوز أيضا وقوفا عند ظاهر قوله وأذنها أن تسكت)

هذا الذي شذ يقول أن البنت البكر رضاها سكوتها ولو تكلمت وأعلنت الرضا فلا يجوز العقد عليها بل لا بد أن تسكت . فيبلغ على مثل هذا الشخص المفتي أن السكوت علامة الرضا ولكن التصريح والكلام والموافقة لا يكون علامة الرضا .

ب-المثال الثاني على جهل بعض من يتصدى للفتيا ولم يكن أهلا :

أتذكر في يوم من الأيام عندما كنا في درس الفقه للمفكر الإسلامي آية الله العظمى الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره ذكر في ضمن من يتصدى للفتيا ويناقش ولم يكن أهلا لذلك حاصل كلامه : من المعروف في الأوساط العلمية أن كتاب (العروة الوثقى) للفقيه السيد كاظم اليزدي هي محور التعليقات والشروح في الآونة الأخيرة للعلماء والمراجع وعند تقسيم السيد اليزدي الماء إلى قسمين : قال (

فصل في المياه : الماء إما مطلق أو مضاف) علق بعض المعلقين على كلمة (مطلق) بقوله : وفي إطلاقه نظر ؟! .

والنتيجة فإن الانحطاط الفكري والجهل الذي يسود الأمة هو العامل الرئيس لتمزقها ومادام الجهل مستولٍ عليها مع اختلاف طبقاتها فإنها لن تقوم لها قائمة وستبقى ذليلة متخلفة وإن الروائح النتنة التي تزكم الأنوف سوف تستولي على عطر الورود وقد حدثنا التاريخ عن الشيء الكثير من التخلف والجهل الذي مرت به الأمة .

فقد استولى المغول على الأمة ودمروها فتخلفت فكرياً وأخلاقياً وضيق الخناق على الأحرار و أهل الفكر وصارت الصولات والجولات بيد الأراذل والجهلاء وقد صور هذه الحالة الشاعر سعدي بقوله :

استولت رائحة الثوم على عطر الورد   وأخرس الطبل لحن القيثار

نعم إن الروائح النتنة استولت على مظاهر العزة والكرامة والشهامة والأخلاق الحسنة والعدل في هذه الأمة حتى تحولت نقاط القوة إلى نقاط ضعف فيها .

من المستفيد من جهل الأمة ؟

المستفيدون من جهل الأمة وتأخرها كثر وفي مقدمتهم أولئك الخفافيش الذين لا يعيشون إلا في الظلام ظلام الجهل والتخلف للأمة ولا يمكن أن يعيشوا ويبتزوا ثرواتها في نور العلم حيث يفضحهم فالعلماء المتعصبون للجهل الذي يعيش على الأحاديث

المكذوبة الموضوعة والإسرائيليات التي ملأت الطوامير وسودت الصحف ، ويأنفون من التمييز بين الصحيح والضعيف من التراث الإسلامي ويأنفون من التفكير واستعمال العقل لتحليل القضايا الدينية وإنما يأنسون بالقديم مهما كان هم المستفيدون من هذا التخلف فمنهم :

١. المتسلطون على رقاب الناس بلا عدل أفشوه فيهم .
٢. أهل الدكاكين الذين لا يعيشون إلا على جهل الأمة وإذا ما وعت فلن يكون لهم موطئ قدم .
٣. الاستعمار الأجنبي بمختلف أشكاله الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي .
٤. أهل الجاه الذين يسيطرون على الأمة بعنجهيتهم .

يقول الشيخ محمد عبده المفتي سابقاً في مصر ورئيس الجامع الأزهر الشريف أسباب الاختلاف بين الأمة :

(والسبب في بقاء قوة سلطان الخلاف هو فشو الجهل وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التي ينتسبون إليها وبجاهها يعيشون ويكرمون ، وتأييد الأمراء والسلاطين لهم استعانة بهم على إخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلي على الأمة .

لأن هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينا لهم مما يحبون من الفساد والإفساد .

لأن اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا ، بدليل كذا ملزم للحاكم باتباعهم فيه ، لأن الخواص إذا اتحدوا اتبعهم العوام ، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكام .

فالدين يأمر برفع الشقاق والتنازع ، والاعتصام بحبل الوحدة وهذا معنى قوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .

وقوله ولا تنازعوا فتفشلوا وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض) . رواه البخاري

وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا ، وحارب بعضنا بعضا باسم الدين ، لأننا سلكنا مذاهب متفرقة ، وكل فريق يتعصب لمذهبه ويعادي سائر إخوانه من المسلمين لأجله زاعماً لأنه بهذا ينصر الدين مع أنه يخذله بتفريق كلمة المسلمين ، هذا سني يقاتل شيعياً ، وهذا شيعي يحارب أباضياً وهذا شافعي يغري التتار بحنفي ، وهذا حنفي يقيس الشافعية على الذمية) [٢٥] .

السبب الثالث : قال أمير المؤمنين عليه السلام : { وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ وَ سُوءُ الضَّمَائِرِ فَلَا تَوَازَرُونَ وَ لَا تَنَاصَحُونَ وَ لَا تَبَاذَلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ }

---

[٢٥] ما لا يجوز في الخلاف ص ٦٣ عن المنار .

يشير الإمام عليه السلام إلى أسباب الفرقة والاختلاف وأنه ناشئ من صفات سلبية موجودة بين الطرفين وليست صفات إيجابية وذلك أن من أسباب الفرقة في الأمة هي :

١ - خبث السرائر .

السرائر : ما أسر في القلوب والعقائد والنيات وغيرها وما خفي من الأعمال أي خبث النيات وخبث العقائد وبالنتيجة أن هذه العقائد باطلة منحرفة عن الحق .

٢ - سوء الضمائر .

الضمائر : مفرده الضمير وهو ما يضمره الإنسان في نفسه وهذا الذي يضمره قد يكون خيراً وقد يكون شراً ، وما يؤدي إلى التفرقة هو الشر المضمر للآخرين هذان الأمران يؤديان إلى:

١ -عدم التزاور بين المسلمين والمؤمنين .

٢ -عدم التناصح فيما بينهم .

٣ -عدم التبادل بينهم في الخبرات والعطايا .

٤ -عدم التواد والمحبة فيما بينهم .

السبب الرابع : الإرهاب الفكري فهو من أخطر المعاول الهدامة التي أضعفت الأمة الإسلامية ومزقتها وأرجعتها إلى الخلف مئات السنين هو إلغاء الطرف الآخر والإرهاب الفكري والعقائدي وعدم الاعتراف بالمخالف في الرأي أو الفكر فهو في نظره لا يستحق أن يمشي على وجه

الأرض أو أن يشم نسيم الهوى وإن كان من أبناء جلدته ومن أهل مذهبه ويحكم عليه بالكفر والفسق والضلال والخروج عن الدين هذا الفكر الغريب عن جسد الأمة الإسلامية وهو بريء منه براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام وأخطر ما فيه أن من يحمله ينسبه إلى الدين بل يجعله من صلب الدين الإسلامي بل عندهم هو الدين الخالص الذي لا يقبل الله عمل العباد إلا به .

وأعجب ما في هذا الأمر أنه لم يقتصر على من ينتسب إلى مدارس الخلفاء وأهل السنة وإنما تعدى إلى شريحة ممن ينتسب إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام فحمله البعض وروج له على أنه هذا هو مذهب علي والحسين عليهما السلام ، وأرجو أن أكون قد أخطأت في هذا التصور لأن مذهب أهل البيت أبعد ما يكون عن الإرهاب والتطرف من أول بدئه وإلى يومنا هذا .

أيهما أخطر الإرهاب الفكري أم المسلح ؟

إن هذا التطرف والإرهاب الفكري لهو أشد خطراً على الدين الإسلامي وعلى الأمتين العربية والإسلامية من الإرهاب المسلح وما ترعرع هذا الإرهاب إلا في ظل الإرهاب الفكري والعقائدي المتحجر المنغلق والذي لم يعرف من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه ، وهو أبعد ما يكون عن الدين .

السبب الخامس: عدم التفكير : إن عدم التفكير يوصل الإنسان إلى المهالك ، فهو دائماً يرى أعماله حسنات وأعمى عن سيئاته بل ويرمي الآخرين بسيئاته ، ومن هذا المنطلق أكدت الروايات على محاسبة الإنسان نفسه محاسبة دقيقة كي يتعرف على حسناته حتى يستزيدها وعلى سيئاته حتى يقلع عنها ، وإن التفكير والتعقل هو خير دليل على ذلك .

فقد جاء في الحديث : التفكر مرآتك ، تريك سيئاتك وحسناتك[٢٦]

---

[٢٦] فقه الرضا عليه السلام .

الفصل الثاني

قوة الأمة بوحدتها

قال تعالى :{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } آل عمران / ١٠٣

في الآية المباركة عدة أبحاث ومطالب أشير إلى بعضها مختصراً :

١ – الدعوة إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله

خطابات القرآن عامة وشاملة لكل زمان ومكان ولكل الفئات والطبقات في المجتمع فكما كان الخطاب شاملاً لكل من كان موجوداً في زمان الرسول (صلى الله علية و آله) ودعوهم إلى الوحدة والاعتصام ونبذ الخلاف ، كذلك لمن جاء بعدهم وإلى يوم القيامة . فيدعوهم إلى الوحدة والتوحد فيما بينهم .

نعم الدعوة الإلهية إلى الوحدة لكل أفراد الأمة حيث عبر بقوله (جميعاً) فكل فرد من أفراد الأمة مشمول لهذه الدعوة فالآية طرحت لهم عنواناً عاماً وشاملاً بين الأمة والذي يجتمعون عليه وهو (حبل الله) والحبل الذي يربط بين طرفين أو يصل به الإنسان من طرف إلى طرف آخر ، والتعبير القرآني من أن الجامع للأمة والذي يوحدها هو (حبل الله) من أبدع التعابير القرآنية فكل ما يوصل إلى الله فهو حبل الله مهما تعددت أو اختلفت التفاسير في المراد (بحبل الله) .

إن واقع الأمة التي تعيشه من التمزق والتناحر والتنابز والحروب الطاحنة فيما بينها كأنما هو تلبية لدعوة إلهية وكأن الله قال لهم (تفرقوا وتمزقوا وكونوا أعداء بينكم) نعوذ بالله من هذه الانتكاسة .

٢ - التطرف ليس من الدين

إن التطرف في الأمة الإسلامية لم يكن ناشئاً من قوة الدين والالتزام به والحرص على تطبيقه والوصول إلى رضى الله وتحقيق أهداف الإسلام والقرآن ، بل على العكس ؛ إن التطرف ليس من الدين في شيء وإنما يعكس أخلاقية وأفكار فاعله ويلبس ذلك بالدين .

فالسني الذي يقول : إنني على الحق ووصلت إلى الواقع وكل من يخالفني – سواء كان من مذهبه أو من يخالفه - يجب أن أقضي عليه لأنه على باطل وليس له موطأ قدم في الدنيا ويجب أن يذهب إلى النار بسرعة . والشيعي الذي يقول هذا القول لمن يخالفه في الرأي والفكر سواء كان من أهل مذهبه ونحلته أو مخالفاً له في المذهب . كل هذا لا يتفق مع القرآن الكريم والسنة الصحيحة ولا مبادئ مذهب أهل البيت الذين حملوا مشعل الهداية والمحبة للأمة وإخراجها من الظلمات إلى النور .

٣ - الألفة والوحدة

اعتبر القرآن الألفة والمحبة والتواد والتراحم والتعاطف بين الأمة نعمة من الله سبحانه يجب عليها أن تحافظ عليها . قوة الأمة وتقدمها

واستقلالها الثقافي والعسكري إنما هو بوحدها وانصهار بعضها في البعض الآخر .

والإسلام هو دين الوحدة وجعل هذه العناوين من الأمور العبادية التي يثاب الإنسان عليها بل ويعاقب على تركها .

العاقل هو الذي يوحد المجتمع

إن المجتمع يتكون من أفراد ، فإذا كان أولئك الأفراد عقلاء فإنهم لن يختلفوا بل سيصبحون مجتمعا موحداً يسوده الإلفة والوئام ، فعن رسول الله صلى الله علية وآله :

(والعقل يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء ، وصفة العاقل :

١. أن يحلم عمن جهل عليه .
٢. ويتجاوز عن من ظلمه .
٣. ويتواضع لمن هو دونه .
٤. ويسابق من فوقه في طلب البر[٢٧] .
٥. وإذا أراد أن يتكلم تدبر ، فإن كان خيراً تكلم فغنم ، و إن كان شراً سكت فسلم .
٦. وإذا عرضت له فتنة استعصم بالله ، وأمسك يده ولسانه.
٧. وإذا رأى فضيلة انتهز بها (انتهزها خ ل) .
٨. لا يفارقه الحياء .

---

[٢٧] وفي معدن الجواهر ص ٧٠ أن يسابق إلى من قرب البر .

٩. لا يبدي منه الخنى[٢٨] .

١٠. ولا يبدو منه الحرص .

فتلك عشر خصال يعرف بها العاقل)[٢٩] .

أقول : بالعقل والتفكير تتوحد الأمة وتتراص صفوفها وتتقدم وتحقق أهدافها ، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرح لنا مواصفات العاقل ، والتي تصب في صالح المجتمع وتوحيده ، فعندما يقول : (العقل يلهمه السعداء) فالسعادة ليست بكثرة الأموال والأولاد والجاه وغيرها من عناوين سرعان ما تزول ، بل من السعادة وجود العقل الذي يستفيد منه فائدة حقيقية والذي عبرت عنه بعض الروايات : ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان . وأما الأشقياء والتعساء فهم المحرومون من هذا العقل .

أما مواصفات العاقل فهي ما تحدث عنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ضمن نقاط عشرة وكلها تصب في صالح الوحدة والألفة ، فالحلم عن الجاهل والتغاضي عن من يسيء إليه ويظلمه شخصياً بل والعفو عنه ، والتواضع لمن هو دونه ، والتسابق بالخيرات ، هذه عناصر الوحدة في الأمة الإسلامية .

---

[٢٨] هذه الفقرة موجودة في معدن الجواهر لأبي الفتح الكراجكي ص ٧٠ وغير موجودة في تحف العقول ولا في بغية الباحث .

[٢٩] تحف العقول ص ٢٧ ولكن رقم ٩ ناقص منها . وبغية الباحث .

ولا يفوتنا ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر الخامس : وهو التدبر في الكلام ، وما المناسب وهل هو خير حتى يقال أم هو شر حتى يترك .

وفي كتاب معادن الجواهر ص ٧٠ الخامسة : إذا أراد أن يتكلم يفكر فإن كان خيراً تكلم فغنم ... إلخ ، فالتدبر والتفكر من مواصفات العاقل الذي يحكم عقله ويستعمله فيما يرجع إلى صلاح المجتمع ويوحده ، وكذلك المواصفات الخمس الأخرى تصب في جدول الوحدة والترابط ، فالاعتصام بالله والابتعاد عن الفتن وإمساك اليد واللسان والمبادرة إلى الفضيلة وملازمته للحياء والابتعاد عن الخنى والفساد وعدم الحرص في أمور الدنيا ، كل هذه الأمور روافد للمجتمع المتوحد الواعي .

الجاهل هو الذي يمزق الأمة

وكما عرفنا أن العاقل يوحد الأمة ويقدم لها كل خير ، فعلى العكس من ذلك الجاهل فإنه يمزق الأمة ويجعلها شذر مذر ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصف الجاهل أنه قال :

(وصفة الجاهل :

١. أن يظلم من خالطه .
٢. ويتعدى على من هو دونه .
٣. ويتطاول على من هو فوقه .
٤. كلامه بغير تدبر ، إن تكلم أثم ، وإن سكت سها .
٥. وإن عرضت له فتنة سارع إليها فأردته .
٦. وإن رأى فضيلة أعرض وأبطأ عنها .
٧. لا يخاف ذنوبه القديمة .
٨. ولا يرتدع فيما بقي من عمره من الذنوب .
٩. يتوانى عن البر ويبطئ عنه .
١٠. غير مكترث لما فاته من ذلك أو ضيعه .

فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذي حرم العقل)[٣٠] .

---

[٣٠] تحف العقول ص ٢٨ . وبغية الباحث عن زوئد مسند الحارث للهيثمي ص ٢٦٢ .

أقول : هذه المواصفات تصب في خانة تمزيق الأمة وتفريقها وإضعافها ، وحتى سكوت الجاهل لم يكن عن حكمة وإنما كان عن غفلة ، فمتى التفت تكلم بما يشعل الفتن .

وبالإضافة إلى ما تقدم من مواصفات الجاهل تؤكد بعض الروايات على علامات الجاهل :

١. الإجابة إلى الشيء قبل أن يسمعه .
٢. المعارضة قبل أن يفهم .
٣. الحكم بما لا يعلم ، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : (من أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع ، والمعارضة قبل أن يفهم ، والحكم بما لا يعلم)[٣١] .
٤. الشتائم حتى لمن اعتزله .
٥. الخيانة لمن أسر إليه سراً ، كما في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣٢] .
٦. رأس الجهل الجور .
٧. رأس الجهل معاداة الناس[٣٣] .

---

[٣١] انظر ميزان الحكمة .

[٣٢] انظر تحف العقول ص ٢١ .

[٣٣] انظر ميزان الحكمة .

الأمل

بالرغم من المرارة و الألم الذي ينطوي عليه من يعيش في المجتمع الفاسد المتخلف الجاهل ، وربما كثير من الناس يتشاءم لهذا الوضع المزري المتردي ، إلا أن الواقع ليس على ظاهره فإن الإنسان إذا قطع رجاءه من الناس وأعرض عنه الناس أو جفوه فإنه سوف يتوجه إلى الحق بقوة واستعدادات روحية ومعنوية قد تؤدي إلى ظهور آثار كبيرة وعجيبة . وهذا ما كان يعتقده كثير من الحكماء والعرفاء وقد دلت عليه جملة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام ، وممن يعتقد ذلك جلال الدين المولوي حيث صور هذا المعنى في شعره بقوله :

جفاء الخلق لك في العالم إنمـــــا هو كنز خفي مـــن الذهب
فالخلق يتعاملون معك بسوء كي يجبروك للإقبال على ذلك الجانب

فالمولوي يعتقد أن الإنسان حينما يرى جفاء الناس وأخلاقهم السيئة يضطر إلى التوجه إلى الله والإقبال عليه وهذا فيه من الكنوز الثمينة ما لا يتحصلها طيلة حياته بشكل اعتيادي ، وهذا شبيه بالحديث الذي جرى بين الإمام السجاد مع الزهري.

التفاؤل

المرارات والهزات والامتحانات والمصائب والويلات كلها تربي المجتمع وتحوله إلى الوعي والمعرفة حتى تصقله ويتعرف على كثير من أخطائه .

الفصل الثالث

دور النبي

في

وحدة الأمة الإسلامية

قال تعالى:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ٢١/ الأحزاب.

عمل رسول الله صلى الله عليه وآله طيلة حياته على توحيد المجتمع الإسلامي ورص صفوفه وتقويته وتقويمه وقد بذل الغالي والنفيس في ذلك حتى قام الإسلام على دعامتين أساسيتين :

١ - كلمة التوحيد .

٢ - وتوحيد الكلمة .

الدعامة الأولى :

كلمة التوحيد وهي النطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) فمن قالها دخل في الإسلام وحقن ماله ودمه وعرضه وله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين وقد تحدثت الروايات من السنة والشيعة وإليك بعضها:

أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم : أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم إن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من

أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم أموالهم - الحديث) .[34]

وتراه ينادي بثبوت الإسلام لهم بمجرد طاعتهم له بذلك ، بحيث تكون أموالهم حينئذ فضلاً عن أعراضهم ودمائهم محترمة كغيرهم من أفضل أفراد المؤمنين .

ومن طريق الشيعة :

جاء عَنْ سُفْيَانَ بْنِ السِّمْطِ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) عَنِ الإِسْلامِ .....

فَقَالَ : (الإِسْلامُ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ إِقَامُ الصَّلاةِ وَ إِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَ حِجُّ الْبَيْتِ وَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ....).[35]

وعَنْ سَمَاعَةَ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ..

---

[34] صحيح البخاري كتاب الزكاة باب ٦٢ أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حديث ١٤٢٥ وذكره البخاري في صحيحه في مواضع متعددة مع اختلاف يسير منها في : كتاب الزكاة باب ١ حديث ١٣٣١ وباب ٤٠ حديث ١٣٨٩ وكتاب المغازي باب ٥٧ حديث ٤٠٩٠ وكتاب التوحيد باب ١ حديث ٦٩٣٧ .

= صحيح مسلم ك الايمان باب ٧ حديث ١٩ ، الجامع الصحيح للترمذي ك الزكاة باب ٦ حديث ٦٢٥ ، سنن النسائي ك الزكاة باب ١ وجوب الزكاة حديث ٢٤٣٧ ، سنن ابن ماجة ك الزكاة باب ١ فرض الزكاة حديث ١٧٨٣ .

[35] الكافي ج٢ص٢٤ باب أن الإسلام يحقن به الدم .

فَقَالَ : (الإِسْلامُ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَالتَّصْدِيقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، بِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَنَاكِحُ وَ الْمَوَارِيثُ وَعَلَى ظَاهِرِهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ) .[٣٦]

وفي الصحيح عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ :....

(وَالإِسْلامُ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنَ الْفِرَقِ كُلِّهَا وَبِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَ عَلَيْهِ جَرَتِ الْمَوَارِيثُ وَ جَازَ النِّكَاحُ وَ اجْتَمَعُوا عَلَى الصَّلاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ الصَّوْمِ وَ الْحَجِّ فَخَرَجُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَ أُضِيفُوا إِلَى الإِيمَانِ .....) .[٣٧]

فهذه الروايات تحدد مفهوم الإسلام النطق بالشهادتين بغض النظر عن ما يحمله في داخل قلبه من الإذعان أو عدمه كما يجري عليه أحكام الإسلام من طهارته ومناكحته وميراثه فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ولا يحق لأحد أن يكفره ويخرجه من عنوان الإسلام إلا أن يتخلى عن الشهادتين أو ينكر ضرورياً من ضروريات الإسلام .

الدعامة الثانية :

---

[٣٦] الكافي ج٢ص ٢٥ باب أن الإيمان يشرك الإسلام .

[٣٧] الكافي ج٢ص٢٦ باب أن الإيمان يشرك الإسلام .

ما جاء في وصفه صلى الله عليه وآله في بعض الأحاديث على لسان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وتأثير بعض هذه الصفات في الوحدة الإسلامية :

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني حديثا طويلا جاء فيه ...

(يَا عِيسَى ذِلَّ لأَهْلِ الْحَسَنَةِ وَ شَارِكْهُمْ فِيهَا وَ كُنْ عَلَيْهِمْ شَهِيداً وَقُلْ لِظَلَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا أَخْدَانَ السَّوْءِ وَالْجُلَسَاءَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا أَمْسَخْكُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ .

يَا عِيسَى قُلْ لِظَلَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْحِكْمَةُ تَبْكِي فَرَقاً مِنِّي وَأَنْتُمْ بالضَّحِكِ تَهْجُرُونَ أَتَتْكُمْ بَرَاءَتِي أَمْ لَدَيْكُمْ أَمَانٌ مِنْ عَذَابِي أَمْ تَعَرَّضُونَ لِعُقُوبَتِي فَبِي حَلَفْتُ لأَتْرُكَنَّكُمْ مَثَلاً لِلْغَابِرِينَ .

ثُمَّ أُوصِيكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْرِ الْبَتُولِ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَحَبِيبِي فَهُوَ أَحْمَدُ صَاحِبُ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ وَالْوَجْهِ الأَقْمَرِ الْمُشْرِقِ بِالنُّورِ الطَّاهِرِ الْقَلْبِ الشَّدِيدِ الْبَأْسِ الْحَيِيِّ الْمُتَكَرِّمِ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ وَسَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ يَلْقَانِي أَكْرَمُ السَّابِقِينَ عَلَيَّ وَأَقْرَبُ الْمُرْسَلِينَ مِنِّي الْعَرَبِيُّ الأَمِينُ الدَّيَّانُ بِدِينِي الصَّابِرُ فِي ذَاتِي الْمُجَاهِدُ الْمُشْرِكِينَ بِيَدِهِ عَنْ دِينِي .

أَنْ تُخْبِرَ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَتَأْمُرَهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوا بِهِ وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَأَنْ يَتَّبِعُوهُ وَأَنْ يَنْصُرُوهُ .

قَالَ عِيسَى (ع) : إِلَهِي مَنْ هُوَ حَتَّى أُرْضِيَهُ فَلَكَ الرِّضَا ؟

قَالَ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً أَقْرَبُهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً وَأَحْضَرُهُمْ شَفَاعَةً طُوبَى لَهُ مِنْ نَبِيٍّ وَطُوبَى لأُمَّتِهِ إِنْ هُمْ لَقُونِي عَلَى سَبِيلِهِ يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ أَمِينٌ مَيْمُونٌ طَيِّبٌ مُطَيَّبٌ خَيْرُ الْبَاقِينَ عِنْدِي يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا خَرَجَ أَرْخَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ زَهْرَتَهَا حَتَّى يَرَوُا الْبَرَكَةَ وَأُبَارِكُ لَهُمْ فِيمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ كَثِيرُ الأَزْوَاجِ قَلِيلُ الْأَوْلَادِ يَسْكُنُ بَكَّةَ مَوْضِعَ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ .

يَا عِيسَى دِينُهُ الْحَنِيفِيَّةُ وَ قِبْلَتُهُ يَمَانِيَّةٌ وَهُوَ مِنْ حِزْبِي وَأَنَا مَعَهُ فَطُوبَى لَهُ ثُمَّ طُوبَى لَهُ ، لَهُ الْكَوْثَرُ وَالْمَقَامُ الأَكْبَرُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ .

يَعِيشُ أَكْرَمَ مَنْ عَاشَ وَيُقْبَضُ شَهِيداً ، لَهُ حَوْضٌ أَكْبَرُ مِنْ بَكَّةَ إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ فِيهِ آنِيَةٌ مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَأَكْوَابٌ مِثْلُ مَدَرِ الْأَرْضِ عَذْبٍ فِيهِ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ وَطَعْمِ كُلِّ ثِمَارٍ فِي الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً وَ ذَلِكَ مِنْ قَسْمِي لَهُ وَتَفْضِيلِي إِيَّاهُ عَلَى فَتْرَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ يُوَافِقُ سِرُّهُ عَلانِيَتَهُ وَقَوْلُهُ فِعْلَهُ لا يَأْمُرُ النَّاسَ إِلا بِمَا يَبْدَأُهُمْ بِهِ .

دِينُهُ الْجِهَادُ فِي عُسْرٍ وَ يُسْرٍ تَنْقَادُ لَهُ الْبِلادُ وَ يَخْضَعُ لَهُ صَاحِبُ الرُّومِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ يُسَمِّي عِنْدَ الطَّعَامِ وَيُفْشِي السَّلامَ وَ يُصَلِّي وَالنَّاسُ نِيَامٌ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُ صَلَوَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ يُنَادِي إِلَى الصَّلاةِ كَنِدَاءِ الْجَيْشِ بِالشِّعَارِ وَيَفْتَتِحُ بِالتَّكْبِيرِ وَيَخْتَتِمُ بِالتَّسْلِيمِ وَيَصُفُّ قَدَمَيْهِ فِي

الصَّلاةِ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ أَقْدَامَهَا وَ يَخْشَعُ لِي قَلْبُهُ وَ رَأْسُهُ ، النُّورُ فِي صَدْرِهِ وَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِهِ وَ هُوَ عَلَى الْحَقِّ حَيْثُمَا كَانَ أَصْلُهُ يَتِيمٌ ضَالٌّ بُرْهَةً مِنْ زَمَانِهِ عَمَّا يُرَادُ بِهِ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ لَهُ الشَّفَاعَةُ وَعَلَى أُمَّتِهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَيَدِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ أَوْفَيْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ فَمُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ يَدْرُسُوا كُتُبَهُ وَلا يُحَرِّفُوا سُنَّتَهُ وَأَنْ يُقْرِءُوهُ السَّلامَ فَإِنَّ لَهُ فِي الْمَقَامِ شَأْناً مِنَ الشَّأْنِ .[38]

أسباب الوحدة الإسلامية

ونقصد بالأسباب العوامل المساعدة على وحدة الإسلام والمسلمين وهي كالتالي :

١ -القيادة الواعية :

لا يمكن للوحدة أن يكون لها نصيب من الوجود والتحقق في الخارج إلا أن تكون قيادات واعية ومخلصة تقود الأمة وعلى رأسها العلماء الأعلام هذا المقطع من الحديث تحدث عن مثل هذه القيادات إن الخاصة من

---

[38] الكافي ج ٨ ص ١٣٩ – ١٤٠ .

طبقة المجتمع يجب عليها أن تتواضع للعامة من الناس الملتزمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشاركهم فيها وتشرف على الدعوة إلى الله وقودهم إلى شاطئ الخير والنجاة .

وهذا من مظاهر الوحدة الإسلامية في الأمة بين طبقات المجتمع بل والذي يقودها هم الصفوة من الأنبياء والمرسلين أو من أئمة الهدى أومن العلماء المخلصين .

معرفة الزمان

من الأمور الضرورية في قيادة الأمة وتوحيد كلمتها ورص صفوفها أن تكون تلك القيادات واعية فإن القيادة إذا كانت معصومة كالأنبياء والمرسلين والأئمة سلام الله عليهم أجمعين فإن العصمة تسد كل ما يحتاجون إليه بل لا تكون في الشخص إلا إذا كان كاملاً ، وأما إذا لم يكن معصوماً فلابد أن يكون واعياً وعارفاً بزمانه كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام : (العالم بزمانه ، لا تهجم عليه اللوابس).[٣٩]

وعن الإمام علي عليه السلام : (حسب المرء ... من عرفانه ، علمه بزمانه) .[٤٠]

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : (أعرف الناس بالزمان ، من لم يتعجب من أحداثه) .[٤١]

---

[٣٩] تحف العقول : ٣٥٦ .

[٤٠] البحار : ٧٨ / ٨٠ / ٦٦ .

وبحسب التعبير الحديث أن يكون سياسياً ومحيطاً بالأحداث .

٢ -الاهتمام بالقضايا المصيرية :

إن اهتمام الأمة بالقضايا المصيرية والمهمة وعدم الانشغال بالقضايا الجزئية مما يكون لها الوحدة والانصهار في بوتقة واحدة مثلاً القضية الفلسطينية قضية مصيرية مهمة يشترك فيها جميع المسلمين فتصدي المسلمين لها مما يوحد صفوفهم ويضفي عليهم القوة والحزم والنجاح .

لقد كشفت هذه الرواية عن غطرسة بني إسرائيل وأنهم السبب في الفساد في الأرض ودعمه وأعطت هذه الرواية وصفاً حقيقياً لبني إسرائيل حيث قالت : (وَقُلْ لِظَلَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا أَخْدَانَ السَّوْءِ وَالْجُلَسَاءَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ تَنْتَهُوا أَمْسَخْكُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ) .

وقد حذرهم الله سبحانه من ذلك ، وأمر عيسى أن يأمرهم بالإيمان بهذا الرسول الآتي وهو الحبيب المصطفى ويصدقوه وينصروه ولا يدرسوا كتبه من الاندراس أي لا يبيدوها ولا يعدموها ، ولا يحرفوا سنته .

وهذا هو السبيل الوحيد لقطع شرهم عن العالم .

ولكن إسرائيل تمادت طيلة التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص على عدم الإيمان بنبي الإسلام وعدم التصديق به بل ألصقت به كل شائنة وحاربته بكل ما أوتيت من قوة ، وقامت بزرع الفتن وإشاعة الحروب في العالم واستمرت على هذا المنوال في فسادها

---

[٤١] غرر الحكم : ٣٢٥٢ .

وإفسادها وهي السبب الوحيد في اضطراب العالم وعدم استقراره خصوصاً بعد احتلالها لأرض فلسطين الحبيبة ، وإذا أراد العالم الاستقرار فلا بد من الوقوف أمام إرادة الصهاينة وغطرستهم واستعمارهم وفسادهم في العالم .

إن القضية الفلسطينية : والالتفاف حولها والشعور بالمسؤولية والدفاع عنها كل ذلك يحقق الوحدة بين الأمة الإسلامية كما هو حاصل لكل من يشعر بالواجب اتجاه هذه القضية المصيري.

٣- الرحمة :

تحدث هذا المقطع عن عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وبشكل مفصل فهو سيد المرسلين وأكرم المقربين إلى الله وهو منقذ البشرية وهو حبيب الله وأنه رسول الله إلى الناس كافة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو رحمة للعلمين إلى يوم الدين ، كما أن دينه خير الأديان وأكملها وأتمها وهو صالح لكل زمان ومكان .

ويمكن الحديث الآن عن الصفة التي اتصف بها رسول الله صلى الله عليه وآله وبلورة الوحدة الإسلامية على أساساها في التأسي به فيها :

قال تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ١٠٧ / الأنبياء .

الرحمة صفة من صفات الله عز وجل وهي الرحمة الرحمانية العامة والرحمة الرحيمية الخاصة ، والرحمة العامة شاملة لكل الموجودات .

رحمة الله

قال تعالى: {فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ٥٠/ الروم .

فإحياء الأرض هو من رحمة الله ، بل كل الموجودات هي من آثار رحمة الله .

قال الإمام علي عليه السلام : (فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته) .[٤٢]

تعهد الله بالرحمة

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ٥٤/الأنعام .

وقال تعالى: {قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } ١٢/ الأنعام .

ظهور الرحمة وشمولها للأمة فيما إذا كانت نازلة من العالي إلى الأسفل فالرحمة من الله سبحانه ، وكذلك من الأنبياء والمرسلين والعلماء بل

---

[٤٢] نهج البلاغة : الخطبة ١ .

وكذلك من القادة والحكام للمجتمعات البشرية فما لم يكن عطف ورحمة وشفقة من المتولي على شؤون الأمة فلا وحدة ولا انسجام .

٤ -التَّرَاحُم :

التراحم بين أفراد المجتمع من أهم أسباب الوحدة فيه ورص صفوفه وإليك ما جاء في الحديث الصحيح عَنْ شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) يَقُولُ لأَصْحَابِهِ : (اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً مُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ مُتَوَاصِلِينَ مُتَرَاحِمِينَ تَزَاوَرُوا وَ تَلَاقَوْا وَ تَذَاكَرُوا أَمْرَنَا وَ أَحْيُوهُ) .[٤٣]

وعَنْ كُلَيْبٍ الصَّيْدَاوِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ : (تَوَاصَلُوا وَ تَبَارُّوا وَ تَرَاحَمُوا وَ كُونُوا إِخْوَةً بَرَرَةً كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ) .[٤٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَاهِلِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) يَقُولُ : (تَوَاصَلُوا وَ تَبَارُّوا وَ تَرَاحَمُوا وَ تَعَاطَفُوا) .[٤٥]

فهذه الأحاديث تؤكد على التراحم والتواصل وأن يشعر كل فرد بأنه أخ للآخر ومتحابين في الله ولأجل الله وبعد ذلك فإن الله سبحانه يحب هؤلاء المتراحمين كما جاء عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ (ع) قَالَ : قَالَ رَسُولُ

---

[٤٣] الكافي ج : ٢ ص : ١٧٥.

[٤٤] الكافي ج : ٢ ص : ١٧٥ .

[٤٥] الكافي ج : ٢ ص : ١٧٥ .

اللَّهِ (ص) : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَحِيمٌ يُحِبُّ كُلَّ رَحِيمٍ)[٤٦] وأي وحدة وألفة أعظم من ذلك .

٥ - التَّعَاطُف :

جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ : (يَحِقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الاجْتِهَادُ فِي التَّوَاصُلِ وَ التَّعَاوُنُ عَلَى التَّعَاطُفِ وَالْمُوَاسَاةُ لأَهْلِ الْحَاجَةِ وَ تَعَاطُفُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى تَكُونُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ{ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ } مُتَرَاحِمِينَ مُغْتَمِّينَ لِمَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ مَعْشَرُ الأَنْصَارِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله).[٤٧]

أي يجب على المسلمين والمؤمنين الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة والإمكانيات في سبيل التواصل بينهم بكل طريق ممكن والتعاون على البر والخير والعنوان الذي يجمع هذه الأمور هو التعاطف بين أفراد المجتمع ، والمواساة لأهل الحاجة ويحققوا ما أمرهم الله به في الآية المباركة { مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ } ٢٩/ الفتح .

---

[٤٦] وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢١٦ و الأمالي ، الشيخ الطوسي : ٥١٦ / ١١٢٩ .

[٤٧] الكافي ج ٢ ص : ١٧٥ .

ويفهم من الآية أنها أمرت بتلك الصفات والخصال الموجودة فيها حيث أنها في مقام المدح والثناء لمن اتصف بها وهذا يستلزم الأمر بها ، وأن الأمر بها لا يختص بالصحابة بل يشمل غيرهم في كل زمان ومكان .

٦ -التزاور :

من أهم أسباب الوحدة الإسلامية هو التزوار بين أفراد المجتمع والمخالطة بينهم وبالأخص علماء المذاهب الإسلامية والتعرف على وجهات النظر في ذلك وأن تكون الزيارة لله سبحانه لا بقصد التغلب على الطرف الآخر ولا بقصد المباهاة والرياء وهذا ما أكدت عليه الروايات العديدة :

ففي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ: (مَنْ زَارَ أَخَاهُ لِلَّهِ لا لِغَيْرِهِ الْتِمَاسَ مَوْعِدِ اللَّهِ وَ تَنَجُّزَ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُنَادُونَهُ أَلا طِبْتَ وَ طَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ) .[٤٨]

وفي الخبر عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ (ع) أُوَدِّعُهُ فَقَالَ: (يَا خَيْثَمَةُ أَبْلِغْ مَنْ تَرَى مِنْ مَوَالِينَا السَّلامَ وَ أَوْصِهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَ أَنْ يَعُودَ غَنِيُّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ وَ قَوِيُّهُمْ عَلَى ضَعِيفِهِمْ وَ أَنْ يَشْهَدَ حَيُّهُمْ جِنَازَةَ مَيِّتِهِمْ وَ أَنْ يَتَلاقَوْا فِي بُيُوتِهِمْ فَإِنَّ لُقِيَّا بَعْضِهِمْ بَعْضاً حَيَاةٌ لِأَمْرِنَا رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا يَا خَيْثَمَةُ أَبْلِغْ مَوَالِيَنَا أَنَّا لا نُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ

[٤٨] الكافي ج ٢ ص : ١٧٥ .

شَيْئاً إِلا بِعَمَلٍ وَ أَنَّهُمْ لَنْ يَنَالُوا وَلايَتَنَا إِلا بِالْوَرَعِ وَ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلا ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ) .[٤٩]

وفي الصحيح عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : (حَدَّثَنِي جَبْرَئِيلُ (ع) أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَهْبَطَ إِلَى الأَرْضِ مَلَكاً فَأَقْبَلَ ذَلِكَ الْمَلَكُ يَمْشِي حَتَّى وَقَعَ إِلَى بَابٍ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ مَا حَاجَتُكَ إِلَى رَبِّ هَذِهِ الدَّارِ قَالَ أَخٌ لِي مُسْلِمٌ زُرْتُهُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَالَ لَهُ الْمَلَكُ مَا جَاءَ بِكَ إِلا ذَاكَ فَقَالَ مَا جَاءَ بِي إِلا ذَاكَ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَ هُوَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَ يَقُولُ وَجَبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ .

وَ قَالَ الْمَلَكُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ أَيُّمَا مُسْلِمٍ زَارَ مُسْلِماً فَلَيْسَ إِيَّاهُ زَارَ إِيَّايَ زَارَ وَ ثَوَابُهُ عَلَيَّ الْجَنَّةُ) .[٥٠]

فزيارة المسلم للمسلم قربة إلى الله هي زيارة لله لأن المسلم عبد لله وفي خدمة الله فثواب تلك الزيارة الجنة من الله مع توفر بقية الشرائط وعدم وجود الموانع لأن هذا من قبيل وجود المقتضي لدخول الجنة وليس علة تامة .

---

[٤٩] الكافي ج ٢ ص : ١٧٦ .

[٥٠] الكافي ج ٢ ص : ١٧٦ .

إن تركيز الرواية على عنوان المسلم دون المؤمن مما يدل على سعة وشمول العنوان لكل أفراد الأمة والوحدة الإسلامية بين مختلف المذاهب والطوائف والاتجاهات المنضوية تحت راية الإسلام .

إن الحكام الظلمة والذين يخشون الوحدة الإسلامية وضعوا السدود والحواجز والموانع بين أفراد الأمة وبالأخص بين العلماء من مختلف المذاهب والطوائف ، وصارت تشيع عنهم السلبيات حتى لا تتوحد صفوفهم وجهودهم لأن الكثير من الظلمة يتصور أن ذلك يهدد كيانهم وعروشهم .

في الحقيقة إن المؤتمرات والزيارات التي تمت بين عدد من علماء الإسلام على مر التاريخ وخصوصاً في الأزمنة المتأخرة بين علماء السنة والشيعة أعطت صورة واضحة لكل فريق عن الآخر وقد انحسرت كثير من الشبهات والتهم الذي يتصورها البعض على الآخر .

الفصل الرابع

دور الإمام علي

في

وحدة المسلمين

كلامنا عن دور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وحدة الأمة الإسلامية وحرصه عليها ينصب في نقطتين :

الأولى : أنه حامي الإسلام والمدافع عن المسلمين .

النقطة الثانية : أنه أحرص المسلمين على وحدتهم .

أما النقطة الأولى : فنقول إن علي بن أبي طالب عليه السلام هو حامل لواء الإسلام في جميع المواطن التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الفدائي الأول له وهو المدافع عنه بكل قوة وحرارة واسترخص كل شيء في حياته لأجل الإسلام فكان طيلة حياته قد وضع روحه في كفه يقدمها رخيصة في سبيل الإسلام ، ولا أظن شخصاً عنده ضمير ينكر ذلك ؛ فحينئذ لا عجب منه إذا قدّم الإسلام على كل شيء في الحياة واسترخص كل شيء لأجله وأصبح يحامي عنه في السراء والضراء والشدة والرخاء إن أقواله وأفعاله كلها شاهد صدق على ذلك .

فمن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر - رحمه الله - لما ولاه إمارتها جاء فيه :

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَ مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، فَلَمَّا مَضَى صلى الله عليه وآله تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَ لا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صلى الله عليه وآله عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَمَا رَاعَنِي إِلا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلانٍ يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ بِيَدِي ، حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الإِسْلامِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ وَ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَ تَنَهْنَهَ)[٥١]

وهنا لا بد من التأكيد على بعض الأمور :

١ - المهيمن : الشاهد قال الله تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً } أي تشهد بإيمان من آمن و كفر من كفر ، وقيل تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك ، و قوله على المرسلين يؤكد صحة هذا التفسير الثاني ،

---

[٥١] شرح نهج البلاغة ج : ١٧ ص : ١٥١ رقم ٦٢

وأصل اللفظة من آمن غيره من الخوف لأن الشاهد يؤمن غـيره مـن الخوف بشهادته ثم تصرفوا فيها فابدلوا إحدى همزتي مؤامن ياء فصار مؤيمن ثم قلبوا الهمزة هاء كأرقت و هرقت فصار مهيمن.

٢ - أمر غير متوقع :

قال ابن أبي الحديد : والروع : الخلد و في الحديث أن روح القـدس نفث في روعي .

قال ما يخطر لي ببال أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد صـلى الله عليه وآله عن بني هاشم ثم من بني هاشم عني لأنه كان المتيقن بحكم الحال الحاضرة ...

قال فما راعني إلا انثيال الناس تقول للشيء يفجؤك بغتة ما راعني إلا كذا .

و الروع : بالفتح الفزع كأنه يقول ما أفزعني شـيء بعـد ذلـك السكون الذي كان عندي و تلك الثقة التي اطمأننت إليها إلا وقوع ما وقع من انثيال الناس أي انصبابهم من كل وجه كما ينثاب التراب على أبي بكر و هكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر و إنما الناس يكتبونـه الآن إلى فلان تذمما من ذكر الاسم كما يكتبون في أول الشقشقية أما و الله لقد تقمصها فلان و اللفظ أما و الله لقد تقمصها ابن أبي قحافة.[٥٢]

---

[٥٢] شرح نهج البلاغة ج : ١٧ ص : ١٥٤

الإمام أمير المؤمنين u ما كان يتوقع و لم يخطر بباله أن الخلافة تتحول عنه بعد ما جرى في يوم الغدير وما قبله وما بعده من عمل قام به الرسول صلى الله عليه وآله أمام عشرات الآلاف من المسلمين في تعيينه عليه السلام للخلافة والإمامة . وما ورد من النصوص المتعددة بين فرق المسلمين أن الإمامة والخلافة إنما هي في بني هاشم ، أو من قريش .

٣ - الخطر على الإسلام :

قوله (فأمسكت يدي) أي امتنعت عن بيعته حتى رأيت راجعة الناس يعني أهل الردة كمسيلمة و سجاح و طليحة بن خويلد وغيرهم وحاول الكثير منهم محق الدين أي إبطاله.

أقول : امتنع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة ولكنه عمل معهم مصالحة وهدنة بعد أن علم أن الإسلام في خطر وأنه سوف يمحق من الوجود وتلك الجهود التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله مع أصحابه وفي مقدمتهم علي عليه السلام سوف تذهب أدراج الرياح ، إذا ما رجع المسلمون عن الإسلام وارتدوا القهقرى فزمن الجاهلية ليست بالبعيدة .

(فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ وَ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ)

فالحال يدور بين أمرين مهمين :

الأمر الأول : هو الحفاظ على الإسلام وقوته وسيطرته وأن يستمر في نفوس المسلمين ، وفي نفس الوقت الحفاظ علـــى وحـــدة المســـلمين وتماسكهم وذلك :

أن ينصر الإسلام والمسلمين ويحافظ على قوهما وعزهما ، مهما كان المتولي الذي يدير أمور المسلمين ومدى رضايتهم به أو لا ؟ وأنه هـــل جاء بطريق شرعي أم لا ؟ وفي سبيل تحقيق هذا الهدف قد يتنازل عـــن حقوقه الشخصية أو يتغاضى عن حقوقه النوعية لكي يتم هذا الأمر .

الأمر الثاني : أن يحافظ على حقه في الخلافة ويطالـــب بهـــا ويشـــهر السيف في وجه من أخذها منه حتى ولو كان في ذلك هدم الإســـلام أو ثلمه ، وتفريق وحدة المسلمين وجماعتهم .

وهنا تأتي الموازنة بين هذين الأمرين وتقديم الأهم على المهم وبطبيعـــة الحال يقدم الإمام علي عليه السلام الأمر الأهم وهو الحفـــاظ علـــى الإسلام ووحدة المسلمين وبقائهم عليه ، على المطالبة بالخلافة والأمارة فيقول عليه السلام : (فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِـــلُ وَزَهَقَ وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ)

زهق : خرج و زال . تنهنه : سكن و أصله الكف تقـــول نهنـــهت السبع فتنهنه ، أي كف عن حركته و إقدامه فكأن الدين كان متحركا مضطربا فسكن و كف عن ذلك الاضطراب. [٥٣]

---

[٥٣] شرح نهج البلاغة ج : ١٧ ص : ١٥٤

وبالفعل قد تصدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لنصرة الإســـلام والمسلمين بكل قوة وجدارة مع كونه لم يقبل بما جرى في تعيين الخليفة وأنه هو أحق بها من غيره ثم كان يغض الطرف عن حقه فيها لمصـــلحة أكبر وأعظم وهو نصرة الإسلام ووحدة المسلمين .

المصيبة العظمى :

أما المصيبة الكبرى والكارثة العظمى تكون لو أن الإمام ترك نصـــرة الإسلام والمسلمين فإنه سوف يحصل في الإسلام ثلمة أو هدم ، وتتفرق وحدة المسلمين ويذهب عزهم . وهذه المصيبة تقع عليه فهو الذي تحمل أعباء الدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فأي خلل أو ضرر على الإسلام والمسلمين فسوف يقع عليه بالدرجة الأولى فهو صاحب المصيبة والمعزَّى .

المهمة الصعبة

لكن الأمر الذي لا بد من التنبيه عليه هو أن هذا الموقـــف البطـــولي المسؤول المشرّف الذي وقفه أمير المؤمنين عليه السلام في تلك اللحظة الحساسة الحرجة والخطر المحدق بالإسلام والمسلمين من تاريخ الإســـلام هل حُفظ له وقُدر من قبل المسلمين عموماً ؟.. وهل عُرف وطُبِّق مـــن قبل مشايعيه فيما بعد ؟ وأصبح منهجاً ونوراً يستضيئون به أو عطـــف على غيره مما ذهب في خبر كان .

الذي يبدو لي أن أمير المؤمنين عليه السلام في واد والمسلمين - بما فيهم مشايعوه – في واد آخر وأنهم لم يعرفوه ولم يقدروا موقفه لذلك صدرت الاعتراضات على موقفه هذا .

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : بعد نقله عن الطبري ما جرى من ردة بعض المسلمين عن الإسلام وتفرق المسلمين والخطر الذي يداهمهم وتصدي الإمام علي عليه السلام للدفاع عن الدين الحنيف قال: (قلت : هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهض فيه أيام أبي بكر و كأنه جواب عن قول قائل إنه عمل لأبي بكر و جاهد بين يدي أبي بكر فبين عليه السلام عذره في ذلك .

و قال إنه لم يكن كما ظنه القائل و لكنه من باب دفع الضرر عن النفس و الدين فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن)[54]

وهذا الاعتراض عليه لم يرتفع ولا يزال إلى وقتنا الراهن في وقت انكشفت فيه الأمور أكثر والخطر المحدق بالإسلام والمسلمين أعظم وأشد من الداخل والخارج إن هذا الاعتراض سرى على كل من وقف موقف أمير المؤمنين عليه السلام وشايعه وتابعه من المراجع العظام والمفكرين ومن يحرص على الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، فوقفت الدنيا في وجوههم باسم الدين والمذهب والسياسة والأحابيل الأخرى .

دور أمير المؤمنين في الوحدة

---

[54] شرح نهج البلاغة ج : ١٧ ص : ١٥٤

النقطة الثانية: أن علي بن أبي طالب عليه السلام رجل الوحدة والألفة بين المسلمين وهو أحرص إنسان في الوجود بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على وحدة المسلمين ورص صفوفهم وقدم ما قدم في سبيل هذا الهدف إننا نحاول أن نتلمس هذا الموقف من كلامه لأن البعض يتصور – ومع الأسف بدون وعي - أن علي بن أبي طالب عليه السلام لا يهمه إلا نفسه ومدحه والثناء عليه ومنصبه وخلافته وأنه يسعى لتحقيقها حتى ولو كان ذلك على حساب الإسلام وتفتيت جماعة المسلمين .

والواقع إن مثل هذه التصورات أو تتعدى إلى الممارسة العملية وإبرازها للخارج بسلوكيات متعددة هي من أكبر الظلامات التي انصبت على أمير المؤمنين عليه السلام في حياته وبعد شهادته .

إن النص التالي الذي رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة وغيره يكشف لنا مدى حرص أمير المؤمنين عليه السلام على وحدة أمة محمد صلى الله عليه وآله وألفتها ، فمن كتاب له عليه السلام أجاب به أبا موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه من المكان الذي استعدوا فيه للحكومة و ذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي قال :

(فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا وَ نَطَقُوا بِالْهَوَى وَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلا مُعْجِباً اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ

أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، وَ أَنَا أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَعُودَ عَلَقاً يَعُودُ ، وَ لَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَ أُلْفَتِهَا مِنِّي ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ الْمَآبِ ، وَ سَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَ إِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْـــهِ ؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَ التَّجْرِبَةِ ، وَ إِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ ، وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ ، فَدَعْ عَنْكَ مَـــا لا تَعْرِفُ ؛ فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ وَ السَّلامُ)[٥٥]

قال ابن أبي الحديد : اعلم أن هذا الكتاب كتاب مـــن شـــك في أبي موسى و استوحش منه و من قد نقل عنه إلى أبي موسى كلاما إما صدقا و إما كذبا و قد نقل عن أبي موسى إليه كلاما إما صدقا أيضا و إمـــا كذبا .

قال (u) إن الناس قد تغير كثير منهم عن حظهم من الآخرة فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى . وروي و نطقوا مع الهوى أي مائلين مع الهوى.

و إني نزلت من هذا الأمر مترلا معجبا بكسر الجيم أي يعجب مـــن رآه أي يجعله متعجبا منه.

و هذا الكلام شكوى من أصحابه و أنصّاره من أهل العراق فـــإنهم كان اختلافهم عليه و اضطرابهم شديدا جدا و المترل و الترول هاهنـــا مجاز و استعارة و المعنى أني حصلت في هذا الأمر الذي حصلت فيه على

---

[٥٥] شرح نهج البلاغة ج : ١٨ ص : ٧٤ رقم ٧٨

حال معجبة لمن تأملها لأني حصلت بين قوم كل واحد منـــهم مســـتبد برأي يخالف فيه رأي صاحبه فلا تنتظم لهم كلمة و لا يستوثق لهم أمر و إن حكمت عليهم برأي أراه أنا خالفوه و عصوه و من لا يطاع فـــلا رأي له .[٥٦]

والحاصل أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد امتحن بالمجتمع الذي عاش معه :

١ - كثرة النميمة بين الطرفين ونقل الكلام الكاذب وهذا ما حصـــل بينه وبين أبي موسى الأشعري.

٢ - عدم وعي المجتمع الذي عاش فيـــه وأن الأحابيـــل السياســـية والأكاذيب تنطلي عليهم ويصدقون بها وتتبدل آراؤهم بسرعة وأنهم لا يعرفون مصالحهم فضلا عن مصالح الآخرين .

٣ - أنهم يميلون للدنيا وأعرضوا عن الآخرة .

٤ - أنه عليه السلام كان يتعجب من أصحابه لتفرقهم فيمـــا بينـــهم وتصرفاتهم ، وهم معجبون بأنفسهم .

٥ - أنه عليه السلام مع شجاعته وحنكته وسياسته وعدله وإنصـــافه وتقواه وطاعته لله إلا أن أصحابه كانوا مختلفين عليه اختلافاً شديداً ولا يقيمون له وزناً .

---

[٥٦] شرح نهج البلاغة ج : ١٨ ص : ٧٤ رقم ٧٨

٦ - أنهم فيما بينهم مختلفون لا يكاد يجتمع رأي أحدهم مع الآخـــر فكلمتهم متفرقة وآراءهم متباينة وقلوبهم شتى .

٧ - لا يطيعون أمره ولا يأخذون بإرشاداته وتوجيهاته حتى أفســـدوا عليه رأيه.

٨ - و هو معهم كالطبيب الذي يداوي قرحا أي جراحة قد قاربت الاندمال و لم تندمل بعد فهو يخاف أن يعود علقا أي دما ويندمل الجرح . و روي وأنا أداري بالراء من المداراة و هي الملاينة و المساهلة فطيلـــة حياته معهم يداريهم ويداويهم ولكنه لم ينفع معهم.

حرص علي عليه السلام على وحدة المسلمين

ثم قال له ليس أحد فاعلم أحرص على ألفة الأمة و ضم شمل المسلمين مني .

و أدخل قوله فاعلم بين اسم ليس و خبرها فصـــاحة و يجـــوز رفـــع أحرص بجعله صفة لاسم ليس و يكون الخبر محذوفا أي ليس في الوجود رجل أحرص على وحدة الأمة وألفتها من علي عليه السلام فيقول عليه السلام (وَ لَيْسَ رَجُلٌ- فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَ أُلْفَتِهَا مِنِّي) نعم لا يوجد أحد في الوجود أحرص على القيام بوظيفته الشرعية وطاعة الله والابتعاد عن معصيته مثل علي بن أبي طالب الذي يقول : (والله لو أعطيت الأقاليم السبع بما تحـــت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت) وبما

أن السعي في تأليف أمة محمد صلى الله عليه وآله ووحدتها مــن أهــم الواجبات في الشريعة الإسلامية فلا عجب إذا كان علي بن أبي طالــب عليه السلام أحرص الناس على جماعة أمة محمد صلى الله عليــه وآلــه وألفتها ورص صفوفها وإن كلفه الكثير من حياته وراحته وقد تقدم في النقطة الأولى قوله : (فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ) فهو كما يرى ضرورة نصرة الإسلام كذلك يرى ضرورة نصرة المسلمين علــى حد سواء وقد تعددت كلماته وكلمات أولاده الأئمة الهداة في الحــث على وحدة المسلمين والدعاء لهم بل بعض الفقهاء أوجب الدعاء لهم في خطبتي صلاة الجمعة .

وعلى العكس من ذلك فإن السعي في إضــعاف المســلمين وتفرقــة جماعتهم وبذر الخلاف فيما بينهم وزرع الفتنة في صفوفهم يعتبر مــن المحرمات التي أوعد الله فاعلها النار.

على المؤمنين المشايعين والمتابعين لعلي عليه السلام أن يقتدوا به في كل خطواته وسيرته والتمسك بعدله وإنصافه وقول الحق ولو على نفســه وقول الحق وإن كان مراً ، إننا بأمس الحاجة إلى منهج علي عليه السلام مع مخالفيه في الفكر والسياسة والعقيدة ، وبأمس الحاجة إلى منهجه مع أعدائه الذين قاتلوه ونصبوا له ولأولاده العداوة والبغضاء واســتعمل معهم العدل الإنصاف ولم يظلمهم بل أحسن إليهم وسيرته مع قاتله ابن

ملجم معروفة وكيف أقسم على أولاده أن يطعموه مـــن طعامـــه وأن يسقوه من فاضل ما يشرب من اللبن وأن ينيموه على الفراش اللين ما دام هو حي ، إن هذه الروحية النابعة من صميم الرحمة الإلهية والشفقة المحمدية من روح الشريعة الإسلامية ، إن هذه الشفقة هي التي حولت العتاة والمناوئين للدين الحنيف إلى أكبر الدعاة إليه وحولت كثيراً مـــن أعداء علي عليه السلام وأولاده المناوئين لهم إلى أعظم المحبين لهم وأشد المدافعين عنهم .

إن عدل علي عليه السلام وإنصافه مع الناس كلهم لم يخفى على أحد حتى ربات الحجال في خدورهن والعجائز في محافلهن وقد فقـــد هـــذا العدل بعد شهادته حتى رثته سَودَة بنت عمارَة الهمدانيـــة في مجلـــس معاوية وهي تبكي بقولها :

صَلَّى الإلهُ عَلَى جِسْمٍ تَضَمَّنَـــهُ   قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ العَدْلُ مَدْفُونَا

قَدْ حَالَفَ الحَقَّ لاَ يَبْغِي بِهِ بَدَلاً   فَصَارَ بِالحَقِّ والإِيمَانِ مَقْرُونَا [٥٧]

وذكرت لمعاوية قصتها مع علي وما يدل على عدله وإنصافه .

٩ - وَ سَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي : و تقول قد وأيـــت وأيـــا أي وعدت وعدا قال له أما أنا فسوف أفي بما وعدت و ما استقر بـــيني و بينك و إن كنت أنت قد تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه.

---

[٥٧] بلاغات النساء لابن أبي طيفور المتوفى ٢٨٠ هـــ ص ٨٨ .

فإن قلت فهل يجوز أن يكون قوله و إن تغيرت من جملة قوله فيما بعد فإن الشقي كما تقول إن خالفتني فإن الشقي من يخالف الحق.

قلت نعم و الأول أحسن لأنه أدخل في مدح أمير المؤمنين (ع) كأنه يقول أنا أفي و إن كنت لا تفي و الإيجاب يحسنه السلب الواقع في مقابلته. و الضد يظهر حسنه الضد .[٥٨]

١٠ - فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَ التَّجْرِبَةِ : و روي نفع ما أولى باللام يقول أوليته معروفا. و روي إن قال قائل بباطل و يفسد أمرا قد أصلحه الله.

١١ - ثم قال و إني لأعبد أي آنف من عبد بالكسر أي أنف و فسروا قوله فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ بذلك يقول إني لآنف من أن يقول غيري قولا باطلا فكيف لا آنف أنا من ذلك لنفسي ثم تختلف الروايات في اللفظة بعدها كما ذكرنا.

ثم قال فدع عنك ما لا تعرف أي لا تبن أمرك إلا على اليقين و العلم القطعي و لا تصغ إلى أقوال الوشاة و نقلة الحديث فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيرا فلا تصدق ما عساه يبلغك عني شرار الناس فإنهم سراع إلى أقاويل السوء و لقد أحسن القائل فيهم :

أن يسمعوا الخير يخفوه و إن سمعوا   شرا أذاعوا و إن لم يسمعوا كذبوا

و نحو قول الآخر

---

[٥٨] شرح نهج البلاغة ج : ١٨ ص : ٧٤ رقم ٧٨

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا   و إن ذكرت بخير عندهم دفنوا [٥٩]

الفصل الخامس

حرص الإمام الحسن

على وحدة المسلمين

[٥٩] شرح نهج البلاغة ج : ١٨ ص : ٧٥ رقم ٧٨

روى البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله قال مشيراً إلى ابنـــه الإمام الحسن عليه السلام (إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) [60]

[60] صحيح البخاري ٥٢- كتاب الصلح ٩- باب قول النبي للحسن بن علي .... حديث ٢٧٠٤ و٦١- كتاب المناقب ٢٥- باب علامات النبوة في الإسلام حديث ٣٦٢٩ و٦٢ – كتاب فضائل الصحابة ٢٢- باب مناقب الحسن والحسين حديث ٣٧٤٦ و ٩٢- كتاب الفتن ٢٢- باب قول النبي للحسن بن علي إن ابني هذا لسيد .... كلها عن أبي بكرة مع بعض الاختلاف في الألفاظ .

ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند في مســـند أبي بكـــرة ج ١٥ ص ٢٠٢ حـــديث ٢٠٢٧١ و٢٠٣٢٧ و٢٠٥٢ قال المعلق على المسند إسناده صحيح .

ورواه أبو داود في سننه ج ٤ ص ٢١١ كتاب ٣٥ السنة باب ١٣ترك الكـــلام في الفتنـــة الأولى حديث ٤٦٢٩ تحقيق محمد عوامة .

ورواه الترمذي في صحيحه ج ٥ ص ٦١٦ كتاب ٥٠ المناقب باب ٣١ مناقب الحسن والحســـين حديث ٣٧٧٣ .

ورواه النسائي في سننه ج ٣ ص ١٠٧ كتاب الجمعة باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر .

الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام السبط الأول لرسـول الله صلى الله عليه وآله وريحانته من الدنيا وأول مولود لعلـي وفاطمـة عليهما السلام والإمام الثاني من أئمة أهل البيت عليهم السلام

كان يشبه جده رسول الله في خَلْقه وخُلقه ومنطقه وهديه قال أنس بن مالك : (لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي)[٦١] فلا عجب إذا أشبه جده في عطفه ورحمته وحنكته ومثله في حقـن دماء الأمة و لم شملها .

قال واصل ابن عطاء : (كانت على الحسن سيماء الصالحين وبهـاء الملوك) .

وفي هذه العجالة نتناول بعض من صور حلمه عليه السلام في رعيته ..

١. الهدنة مع معاوية :

أئمة أهل البيت عليهم السلام يحرصون على حقن دماء الأمة بكل طريق ولا يلجأون للحرب إلا إذا تفاقم الأمر واستنفذت جميع الوسائل وعندها لا بد من أخذ الحقوق للأمة وتطبيق الحدود وردع الظالم عن ظلمه وأخذ حق المظلوم من ظالمه أو الكفر بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله كما عبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الأسباب التي أدت به إلى الحرب مـع خصومه .

---

[٦١] صحيح البخاري كتاب ٦٢ فضائل الصحابة باب ٢٢ مناقب الحسن والحسين حديث ٣٧٥٢

من مبررات الهدنة

الهدنة لها أسباب عديدة وقد تكاثرت حتى لا بد من العمل عليها فبعد أن تفاقمت الأمور بين الإمام وبين معاوية وقامت الحرب حتى سقطت الضحايا من الطرفين وخشي معاوية من الهزيمة حاول أن يستميل بعض أصحاب الإمام عليه السلام إليه وكاتبهم سراً ومناهم بالأموال حتى استجاب البعض إليه كما أن العملاء في جيش الإمام قد تكاثروا فقد نقل الشيخ المفيد:

و كتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر و استحثوه على السير نحوهم و ضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به و بلغ الحسن ذلك و ورد عليه كتاب قيس بن سعد رضي الله عنه و كان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية و يرده عن العراق و جعله أميرا على الجماعة و قال إن أصبت فالأمير قيس بن سعد فوصل كتاب ابن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبونية بإزاء مسكن و أن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن العباس يرغبه في المصير إليه و ضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف و يعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة فانسل عبيد الله بن العباس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته و أصبح الناس قد فقدوا أميرهم فصلى بهم قيس رضي الله عنه و نظر في أمورهم.

فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له و فساد نياتهم المحكمة فيه بما أظهروه له من السب و التكفير و استحلال دمه و نهب

أمواله و لم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته و شيعة أبيه أمير المؤمنين و هم جماعة لا تقوم لأجناد الشام . [٦٢]

التحذير

ويبدو أن الإمام الحسن عليه السلام كان على علم بذلك لهــذا حــذر المندسين في صفوف جيشه أو الذين تآمروا مع معاوية عليه فقــال عليــه السلام :

(ويلكم و الله إن معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلــي و إني أظن أني إن وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدي صلى الله عليه وآله و إني أقدر أن أعبد الله عز و جل وحدي و لكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم و يستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يسقون و لا يطعمون فبعدا و سحقا لما كســبته أيــديهم **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }** [٦٣]

منهج الإمام مع معاوية

شخصية معاوية غير خافية على الإمام فهو من أعــرف النــاس بــه وبأساليبه ولكن الأوضاع المتأزمة والخيانات المتكررة من داخل جيشــه حتمت عليه أن يهادن وبعد حصول الأسباب الموضوعية صمم الإمام على

---

[٦٢] الإرشاد ج : ٢ ص : ١٣

[٦٣] بحار الأنوار ج : ٤٤ ص : ٣٣

الهدنة فاستجاب ضمن شروط معينة اتفق عليها الطرفان فقد روى الشيخ الصدوق رواية جاء فيها :

(فكتب الحسن عليه السلام من فوره ذلك إلى معاوية أما بعد فإن خطبي انتهى إلى اليأس من حق أحييه و باطل أميته و خطبك خطب من انتهى إلى مراده و إنني أعتزل هذا الأمر و أخليه لك و إن كان تخليتي إياه شرا لك في معادك و لي شروط أشرطها لا تبهظنك إن وفيت لي بها بعهد و لا تخف إن غدرت و كتب الشرط في كتاب آخر فيه يمنيه بالوفاء و ترك الغدر و ستندم يا معاوية كما ندم غيرك ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم و السلام [٦٤]

وفي كلام آخر قال الشيخ المفيد : (فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه و الإعذار فيما بينه و بينه عند الله عز و جل و عند كافة المسلمين و اشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام و العدول عن القنوت عليه في الصلوات و أن يؤمن شيعته رضي الله عنهم و لا يتعرض لأحد منهم بسوء و يوصل إلى كل ذي حق منهم حقه فأجابه معاوية إلى ذلك كله و عاهده عليه و حلف له بالوفاء به .

فلما استتمت الهدنة على ذلك سار معاوية حتى نزل بالنخيلة و كان ذلك يوم جمعة فصلى بالناس ضحى النهار فخطبهم و قال في خطبته إني و الله ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتزكوا إنكم

---

[٦٤] علل الشرائع ج : ١ ص : ٢٢١

لتفعلون ذلك و لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم و قد أعطاني الله ذلك و أنتم له كارهون ألا و إني كنت منيت الحسن و أعطيته أشياء و جميعها تحـــت قدمي لا أفي بشيء منها له .

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياما فلما استتمت البيعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس و ذكر أمير المؤمنين (ع) و نال منه و نال مـــن الحسن و كان الحسن و الحسين (ع) حاضرين فقام الحسين لـــيرد عليـــه فأخذ بيده الحسن و أجلسه [٦٥]

فالإمام كان بصدد بيان حقائق وكشف الواقع وفي رده لم يعين طرفـــا من الأطراف وإنما يرد على الانحراف .

تكفير الإمام

قد أبتلي الإمام الحسن عليه السلام بما أبتلي به أمير المؤمنين عليه السلام من الخوارج وهم لا زالوا يعيثون في الأرض الفساد وكل من خـــالفهم في الرأي والعقيدة كفروه ورموه بالشرك والإلحاد وحيث أن الإمام الحســـن أراد أن يهادن معاوية حيث هم ألجئوه إلى ذلك وانقلبوا عليه يكفرونه كما انقلبوا على أبيه من قبل في مسألة التحكيم . قال عليه السلام :

(الحمد لله بكل ما حمده حامد و أشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالحق و ائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله .

---

[٦٥] الإرشاد ج : ٢ ص :١٤- ١٥

أما بعد فو الله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه و أنا أنصح خلق الله لخلقه و ما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة و لا مريدا له بسوء و لا غائلة ، ألا و إن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا و إني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري و لا تردوا علي رأيي غفر الله لي و لكم و أرشدني و إياكم لما فيه المحبة و الرضا) .

قال فنظر الناس بعضهم إلى بعض و قالوا ما ترونه يريد بما قال ؟

قالوا: نظنه و الله يريد أن يصالح معاوية و يسلم الأمر إليه .

فقالوا: كفر والله الرجل .

ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته.

ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فترع مطرفه عن عاتقه فبقي جالسا متقلدا السيف بغير رداء .

ثم دعا بفرسه فركبه و أحدق به طوائف من خاصته و شيعته و منعوا منه من أراده فقال ادعوا إلي ربيعة و همدان فدعوا له فأطافوا به و دفعوا الناس عنه و سار ومعه شوب من الناس فلما مر في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلجام بغلته و بيده مغول .

و قال : الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل .

ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم فاعتنقه الحسن (ع) و خرا جميعا إلى الأرض فوثب إليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام يقال له

عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده و خضخض به جوفه و أكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك و أخذ آخر كان معه فقتل .

و حمل الحسن (ع) على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي و كان عامل أمير المؤمنين (ع) بها فأقره الحسن عليه السلام على ذلك و اشتغل بنفسه يعالج جرحه .[٦٦]

تذمر الإمام من بعض أتباعه

عن زيد بن وهب الجهني قال : لما طعن الحسن بن علي (ع) بالمدائن أتيته و هو متوجع فقلت ما ترى يا ابن رسول الله فإن الناس متحيرون .

فقال : (أرى و الله أن معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي و انتهبوا ثقلي و أخذوا مالي و الله لئن آخذ من معاوية عهدا أحقن به دمي و أومن به في أهلي خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي و أهلي و الله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلما و الله لئن أسالمه و أنا عزيز خير من أن يقتلني و أنا أسير أو يمن علي فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر و لمعاوية لا يزال يمن بها و عقبه على الحي منا و الميت)[٦٧]

إن ما قام به الإمام الحسن بن علي عليه السلام من دراسة الأوضاع بدقة والاستجابة إلى الهدنة قد كانت من أروع الخطوات المدروسة التي تدل

---

[٦٦] الإرشاد ج : ٢ ص :١١-١٢

[٦٧] الاحتجاج ج : ٢ ص : ٢٩٠

على العقل والرأي الراجح والحنكة السياسية قال المغفور لـــه الشـــيخ آل ياسين حول معاهدة الإمام مع خصمه :

(ومن الحق أن نعترف للحسن بن علي على ضوء ما أثر عنه من تدابير ودساتير هي خير ما تتوصل إليه اللباقة الدبلوماسية لمثل ظروفه من زمانـــه وأهل زمانه بالقابليات السياسية الرائعة التي لو قدر لها أن تلي الحكـــم في ظروف غير هذا الظرف ، وفي شعب أو بلاد رتيبة بحوافزهـــا ودوافعهـــا لجائت بصاحبها على رأس القائمة السياسيين المحنكين ، وحكام الإســـلام اللامعين ، ولن يكون الحرمان يوماً من الأيام ، ولا الفشل في ميدان مـــن الميادين بدوافعه القائمة على طبيعة الزمان دليلا على ضعف أو منفـــذاً إلى نقد ، ما دامت الشواهد على بعد النظر وقوة التدبير ، وسمو الرأي كثيرة متظافرة تكبر على الريب وتنبو عن النقاش) [٦٨]

١. موقفه من ابن حديج الساب لعلي :

نقل الطبراني في المعجم الكبير عن عليّ بن أبي طلحة مولي بني اُميّة قال : حجّ معاوية بن أبي سفيان ، وحجّ معه معاوية بن حُدَيج ، وكان من أسبّ الناس لعليّ ، فمرّ في المدينة في مسجد الرسول صلى الله عليـــه [وآلـــه] وسلم والحسن بن عليّ جالس في نفر من أصحابه .

فقيل له : هذا معاوية بن حديج السابّ لعليّ رضي الله عنه!

فقال : عليَّ بالرجل . فأتاه الرسول ، فقال : أجب ! قال : مَن؟

---

[٦٨] حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ج ٢ ص ٢٣٧ عن صلح الحسن للياسين ص ٢٥٧

قال : الحسن بن عليّ يدعوك .

فأتاه فسلّم عليه .

فقال له الحسن بن عليّ رضي الله عنه : أنت معاوية بن حديج ؟

قال : نعم . فردّ عليه ثلاثاً .

فقال له الحسن : السابّ لعليّ ؟

فكأنّه استحيي .

فقال له الحسن رضي الله عنه : أمَ والله لئن وردتَ عليه الحوض ــ وما أراك أن تَرِده ــ لتجدنّه مشمّر الإزار على ساق ، يذود[٦٩] المنافقين ذَودَ غريبة الإبل ، قول الصادق المصدوق صلى الله عليه [وآله] وسلم ،{ **وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**} [٧٠] [٧١]

. إن هذا الأسلوب والنهج من الإمام مع الساب لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام يدل على بعد النظر وكيف يريد أن يربي الأمة والأجيال المستقبلية على النبل وتحمل الأذية والصبر في ذات الله وهدايتها وأن تنظر بعين البصيرة وأن من يقف على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم القيامة يسقي الواردين ويذود المنافقين عنه كيف يتجاهر بسبه ولعنه على

---

[٦٩] الذَّود : السَّوق والطَّرد والدَّفع . لسان العرب : ٣ / ١٦٧ .

[٧٠] طه : ٦١ .

[٧١] المعجم الكبير ج ٣ ص٩١ ح ٢٧٥٨ وص٨١ح٢٧٢٧ عن أبي كبير نحوه، مسند أبي يعلي ج ٦ ص ١٧٥ح ٦٧٣٨، تاريخ دمشق : ٥٩ / ٢٧ ، سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩ رقم ١٠ .

رؤوس المنابر وعلى مسمع ومرئى من العا لم ؟ على الأمة أن تعود حساباتها .

٢. موقفه من الحسن البصري :

كان الحسن البصري من الشخصيات الكبيرة في البصرة ومن رؤساء القدرية وكان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أولاده وحاله مشهور في ذلك ومع هذا لما التبست عليه الأمور كتب إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام يستوضحه في قضية القضاء والقدر و لم يتردد الإمام في إجابته وأن رفع الشبهات وخدمة الآخرين من الحالات التي يتصدى لها الأئمة سواء كان من أحبائهم أو أعدائهم ، الموالين لهم أو المعادين لهم فقد روي أنه :

كتب الحسن بن أبي الحسن البصري [٧٢] إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام : أما بعد فإنكم معشر بني هاشم الفلك الجارية في اللجج الغامرة والأعلام النيرة الشاهرة أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون ونجا فيها المسلمون .

كتبت إليك يا أبن رسول الله عند اختلافنا في القدر وحيرتنا في الاستطاعة ، فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام ؟

---

[٧٢] هو الحسن بن يسار مولى زيد بن ثابت أخو سعيد وعمارة المعروف بالحسن البصري وهو من رؤساء القدرية والمنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام وقعد في مترله و لم ينصر الإمام عليه السلام وكان من تلامذته ابن أبي العوجاء مات سنه ١١٠ ه وله تسع وثمانون سنة .

فإن من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .

فأجابه الحسن عليه السلام :

(بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي كتابك ولولا ما ذكرته من حيرتك وحيرة من مضى قبلك إذا ما أخبرتك ، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أن الله يعلمه فقد كفر .

ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر ، إن الله لم يطع مكرها و لم يعص مغلوبا و لم يهمل العباد سدى من المملكة بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخييرا ونهاهم تحذيرا فإن ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صادا وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمن عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبرا ولا ألزموها كرها بل من عليهم بأن بصرهم وعرفهم وحذرهم وأمرهم ونهاهم لا جبلا لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة ولا جبرا لهم على ما نهاهم عنه ولله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين و السلام على من اتبع الهدى)[٧٣]

٣. (ومن حلمه عليه السلام) ما روى المبرد وابن عائشة :

أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه والحسن لا يرد ، فلما فرغ أقبل الحسن عليه وضحك وقال : أيها الشيخ أظنك غريبا ولعلك شبهت فلو استعتبتنا

---

[٧٣] - تحف العقول- ابن شعبة الحراني ص ٢٣١ .

أعتبناك ؛ ولو سألتنا أعطيناك ؛ ولو استرشدتنا أرشدناك ؛ ولو استحملتنا حملناك ؛ وإن كنت جائعا أشبعناك ؛ وإن كنت عريانا كسوناك ؛ وإن كنت محتاجا أغنياك ؛ وإن كنت طريدا آويناك .

وإن كان لك حاجة قضيناها لك فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لان لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كبيرا .

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال :

أشهد انك خليفة الله في أرضه الله أعلم حيث يجعل رسالاته وكنت أنت وأبوك ابغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي ، وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقدا لمحبتهم [٧٤].

٤. قصة الشاة :

في كتاب حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ج ١ ص ٢٩٢ قال : قد كانت عنده شاة فوجدها يوما قد كسرت رجلها فقال عليه السلام لغلامه :

(من فعل هذا بها ؟ قال : أنا . فقال : لم ذلك ؟ فقال : لأجلب لك الهم والغم .

فتبسم عليه السلام وقال له لأسرك ، فأعتقه وأجزل له في العطاء) .

---

[٧٤] - مناقب آل ابي طالب - ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٨٤ .

أقول : هذه الحوادث ومئات بل آلاف من أمثالها تعطي لنا صورة مشرقة عن حياة أئمة الهدى عليهم السلام ومنهجهم مع مخالفيهم ومعاديهم والسابين لهم ولاعنيهم وأنهم نسخة أخرى من جدهم الحبيب المصطفى فكما أنه رحمة للعالمين كذلك هم وكما أن نبوته عامة على الخلق كذلك أهل بيته إمامتهم عامة لجميع الناس من عرفهم ومن لم يعرفهم من اتبعهم ومن عاداهم وكما أن جدهم قد تحمل مختلف طبقات المجتمع كذلك هم .

وهذه القصص والحوادث تشكل لنا منهجا وضاء أبلجا يمشون عليه ولم يكن مجرد حالة عابرة يريد أن يستعملها أو لا يستعملها بل هي تشكل جزءا من حياتهم وعقيدتهم ومن أسلوب دعوتهم إلى الله .

الفصل السادس

دور الإمام الحسين

في

وحدة المسلمين

الإمام الحسين عليه السلام هو رمز الوحدة الإسلامية فمهما تعددت المذاهب واختلفت الآراء فهي لم ترض بالجريمة الشنعاء التي ارتكبتها الزمرة الأموية بقتلها الإمام الحسين عليه السلام والأمة تروي فضائله عن جده الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله .

فعن يعلى بن مرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حسين مني و أنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط) [٧٥]

الإمام يؤلف الأمة بعد شهادته

هذا الحديث الذي تلقته الأمة الإسلامية بالقبول ورواه علماء السنة وتبعهم علماء الشيعة على ذلك جدير أن يجمع كلمتهم ويوحد صفوفهم وأن يكون الإمام الحسين عليه السلام عامل وحدة بعد شهادته كما كان عامل عزة وكرامة لهم في حياته.

---

[٧٥] كامل الزيارات ص ١١٦ باب ١٤ حديث ١٢٦

إن أكثر روايات فضائل أهل البيت عليهم السلام قد رواها علماء السنة قبل علماء الشيعة فإن من يلقي نظرة على كتب الفضائل يجد ذلك جلياً وبالأخص فضائل الإمام الحسين عليه السلام على لسان جده الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وإخباره بها وبشهادته وما يجري عليه من مجرمي الأمة و من خلال المآتم التي أقيمت له قبل شهادته كما نقل ذلك العلامة الأميني في كتاب (سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته) ومن تلك الأحاديث الحديث الذي أشتهر على الألسن وقد بدأنا حديثنا به فقد رواه:

١- البخاري المتوفى ٢٥٦ هـ في الأدب المفرد ص ١٣٣ رقم ٣٦٦ ، والتاريخ الكبير ج ٨ ص ٢٨٨ رقم ٣٥٣٦ في ترجمة يعلى . بسندين صحح أحدهما .

٢- أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ في مسنده ج ١٣ ص ٤١٦ حديث ١٧٤٩١ عن عفان عن وُهَيْب عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى العامري ..... وعلق المحقق في الهامش عليه بقوله : سنده حسن . وفي فضائل الصحابة له ج ٢ ص ٧٧٢ ح ١٣٦١ بعين السند المتقدم وعلق عليه المحقق بقوله إسناده حسن .

٣- أبو بكر ابن أبي شيبة الكوفي المتوفى ٢٣٥ هـ في المصنف ج ٦ ص ٣٠٠ ح ٣٢١٩٦ . بعين السند الذي نقله أحمد بن حنبل .

٤- الترمذي المتوفى ٢٧٩ هـ في سننه ج ٥ ص ٦١٧ حديث ٣٧٧٥ . وقال هذا حديث حسن .

٥- ابن ماجه المتوفى ٢٧٥ هـ في سننه ج ١ ص ٥١ حديث ١٤٤ .

٦- ابن حِبان المتوفى ٣٥٤ هـ في صحيحه ج ١٥ ص ٤٢٨ .

٧- الطبراني المتوفى ٣٦٠ في المعجم الكبير ج ٣ ص ٣٢ ح ٢٥٨٦ و ٢٥٨٩ وج ٢٢ ص ٢٧٣ ح ٧٠١ و ٧٠٢ . وفي مسند الشاميين ج ٣ ص ١٨٤ ح ٢٠٤٣ .

٨- الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٩٤ ح ٤٨٢٠ . وصحح الحديث .

٩- الذهبي في تلخيص المستدرك معترفا بصحته .

١٠- ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٤٩ و١٥٠ وج ٦٤ ص ٣٥ .

١١- الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨١ قال إسناده حسن .

١٢- الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٣ ص ٢٢٩ حديث ١٢٢٧ نقله عن عدة من المحدثين معترفا بصحته . وهكذا نقله عشرات من المحدثين وكثير منهم اعترف بصحته.

ونقل علماء الشيعة هذا الحديث عن علماء السنة فقد رواه : أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي المتوفى ٣٦٨ هـ في كامل

الزيارات ص ١١٦ حديث ١٢٦ و١٢٧ . نقله بسندين أحدهما بمثل ما نقله أحمد بن حنبل في المسند والفضائل والسند الآخر بمثل ما نقله ابن ماجه في سننه .

ولعل ابن قولويه هو أول من نقل هذا الحديث من علماء الشيعة ثم تابعه من تأخر عنه منهم.

معنى الحديث :

هذا الحديث من الأحاديث المشكلة التي تعددت الآراء حول فهمه والوصول إلى مغزاه خصوصاً الفقرة الثانية (وأنا من حسين) لذلك ذكر له أكثر من معنى :

الأول : وجوب المحبة للحسين :

قال الطيبي : وهو أحد علماء السنة في شرحه لهذا الحديث فقال قوله : (حسين مني وأنا من حسين . كأنه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم ، فخصه بالذكر وبيّن أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة ، وأكد ذلك بقوله : أحب الله من أحب حسيناً . فإن محبته محبة رسول الله ومحبة رسول الله محبة الله ...) [٧٦]

وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه إلا أنه لا يختص بالحسين بل يشاركه فيه أبوه وأمه وأخوه فقد ورد :

---

[٧٦] نفحات الأزهار ج ١٦ ص ٤٦٢ .

١. عن سلمة بن كهيل عن عبد العزيز عن علي عليه السلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يا علي لقد أذهلني هذان الغلامان - يعني الحسن و الحسين عليهما السلام - أن أحب بعدهما أحدا أبدا إن ربي أمرني أن أحبهما و أحب من يحبهما [٧٧]

٢. عن أبي رافع عن أبيه عن جده عن أبي ذر الغفاري قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بحب الحسن و الحسين عليهما السلام فأنا أحبهما و أحب من يحبهما لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إياهما [٧٨]

وشبيه بهذين الحديثين أحاديث كثيرة نقلها المحدثون من بقية فرق المسلمين ، وحينئذ نناشد الأخوة من علماء السنة على مقتضى هذا الحديث وغيره من الأحاديث المسلم بصحتها ومعناها الذي يفهم منها أن يكونوا عند مسؤولياتهم من إعلان محبة الإمام الحسين عليه السلام وما يتناسب مع هذه المحبة والتفجع والتألم لما حل به في يوم عاشوراء وما يتناسب مع التألم سواء كان بالإعلان عن براءتهم واستنكارهم لمن سفك دمه وقتل أصحابه وجرح قلب رسول الله وأسخط الله في ذلك اليوم ،

---

[٧٧] كامل الزيارات ص ١١٢ باب ١٤ حديث ١١٦

[٧٨] كامل الزيارات ص ١١٣ باب ١٤ حديث ١١٨

أو على الأقل أن يعذروا أخواهم الشيعة فيما يقومون به من الاستنكار والاستياء والتنفر من هذه الجريمة البشعة وملازمتهم للحزن والألم .

إن قضية الإمام الحسين فرصة طيبة لأن يتعرف المسلمون على دينهم وقوته وعنفوانه وعدم خضوعه للظلم والقهر والاستبداد والاستعمار مهما كان الظالم قوياً والمظلوم ضعيفاً .. إنها فرصة كبيرة لأن يتعرف المسلمون على قادته العظام الذين قدموا دماءهم وكل ما يملكون لأجل الله .. لأجل الدين والقيم والمقدسات والدفاع عن المحرومين والمضطهدين .

إن شهادة الإمام الحسين تجمع الأمة كل الأمة على العدل والإنصاف وفي خندق واحد ضد كل من يريد بالإسلام والمسلمين سوء ومن يريد أن يشوه سمعة نبي الإسلام والمقدسات ويلصق بها ما لا يناسبها .

الثاني :

أن الحسين قد انطوى فيه جميع كمالات النبي ما عدى النبوة مثل النخلة من النواة والنواة من النخلة .

وهذا المعنى وإن كان يساعده الاعتبار إلا أنه لا يتلائم مع الفقرة الثانية .

الثالث :

(من المحتمل أن يكون المراد الإشارة إلى ما هو معلوم والمقطوع به من أنه لولا شهادة الحسين عليه السلام لما بقي للإسلام اسم ولا رسم .... ولو تم ليزيد كما تم لأبيه لَمُحي الإسلام بالتمام وأعاد الجاهلية على بكرة أبيها وبتمام معانيها ولكن جزى الله الحسين عليه السلام عن الإسلام أحسن الجزاء فلقد حفظه بشهادته وفداه بدمه ودم الصفوة من أهل بيته وأصحابه الذين ما خلق الله لهم على وجه الأرض [مثيل] لا في عصرهم فقط بل منذ خلقت الدنيا إلى وقتك هذا ، فبقاء شريعة الإسلام ونبوة النبي صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام) [٧٩].

وهذا المعنى أفضل من المعنيين المتقدمين .

وهناك معنى رابع ذكره الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه جنة المأوى بشكل مفصل يبتني على بعض المقدمات لا مجال لذكره .

أمران ضروريان

لا بد من التعرف على الإمام الحسين عليه السلام من المصادر الأساسية الأصيلة النزيهه بدون تشويه سمعته وأن نضعه في المكان المناسب له كصاحب رسالة لا أن نصوره كما نشاء نحن قال بعض الشعراء :

وضعناك في الأعناق حرزاً وإنما خلقت لكي تنضى حُساما فتشرع
وصغناك من دمع وتلك نفوسنا نصـــورها لا أنت إنـــك أرفـــع

---

[٧٩] كتاب جنة المأوى لكاشف الغطاء ص ٢٠١ .

وحتى لا تذهب جهود سيد الشهداء أدراج الرياح علينا أن نضع الحسين في موضعه المناسب له و إلا فقد يحارب البعض الحسين من حيث لا يشعر كما أقدم من أقدم على قتله وأسخطوا الله ورسوله فيه وقد رجعت الأمة إلى جاهليتها الأولى.

الفصل السابع
دور علماء الشيعة
في
الوحدة الإسلامية

حرص علماء الشيعة الواعون على ضرورة الوحدة الإسلامية بين مختلف الطوائف بالرغم مما يعانونه من تمييز عنصري ومذهبي وتكفير وتفسيق إلا أنهم انطووا على الحزن والألم وصاروا يناشدون الشيعة والسنة على ضرورة التوحد بينهم ونبذ الخلاف فيما بينهم وأن ما يجمعهم أهم وأكبر مما يفرقهم وعلى هؤلاء الأعلام الشيخ بهاء الدين العاملي .

دور الشيخ البهائي في الوحدة الإسلامية
٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ

قلنا سابقاً أن الإسلام قام على دعامتين :

١ - كلمة التوحيد:

٢ - وحدة الكلمة .

وكما أن الأنبياء والأولياء والعلماء والدعاة إلى الله اهتموا بالدعامة الأولى وبذلوا الغالي والنفيس لأجلها كذلك لم يألوا جهداً في تحقيق

الدعامة الثانية ولم شمل الأمة الإسلامية التي مزقتها الأطماع والأهواء والجهل .

وفي طليعة أولئك العلماء الذين تحملوا مسؤولياتهم في لم شمل الأمة الإسلامية تحت لواء الإسلام الشيخ بهاء الملة والدين العاملي وتحمل الشيء الكثير في سبيل تحقيق هذا الهدف .

وقبل أن نتحدث عن بعض ما قام به من أساليب وأعمال في هذا الجانب علينا أن نتحدث عن نبذة من حياته والتعريف به فالكلام يقع في أمرين الأول في حياته والثاني في مساعيه وأساليبه للوحدة .

أما الأمر الأول التعريف بالشيخ البهائي :

نسبه :

هو الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي . المعروف عند العلماء بالشيخ بهاء الملة والدين العاملي وعند العموم بالشيخ البهائي .

ينتهي نسبه إلى التابعي الشهير : الحارث الهمداني أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام .

ولادته :

ولد في بلده الأصلي ومسقط رأسه بعلبك من جبل عامل – من لبنان .

مدحه والثناء عليه :

مدحه العلماء وأثنوا عليه وذكروه بكل جميل :

١. قال العلامة الأميني :

(شيخ الإسلام ، بهاء الملة والدين ، وأُستاذ الأساتذة والمجتهدين ، وفي شهرته الطائلة ، وصيته الطائر في التضلع من العلوم ، ومكانته الراسية من الفضل والدين ، غني عن تسطير ألفاظ الثناء عليه ، وسرد جميل الإطراء له ، فقد عرفه من عرفه ، ذلك الفقيه المحقق ، والحكيم المتأله ، والعارف البارع ، والمؤلف المبدع ، والبحّاثة المكثر المجيد ، والأديب الشاعر والضليع من الفنون بأسرها ، فهو أحد نوابغ الأمة الإسلامية ، والأوحدي من عباقرتها الأماثل بطل العلم والدين الفذ) [٨٠].

٢. قال المحبي – أحد علماء العامة - في خلاصة الأثر في ترجمته له :

(صاحب التصانيف والتحقيقات ، وهو أحق من كل حقيق بذكر أخباره ، ونشر مزاياه ، وإتحاف العالَم بفضائله وبدائه ، وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم ، والتضلع بدقائق الفنون ، وما أظن الزمان سمح بمثله ، ولا جاد بنده ، وبالجملة فلم تتشنف الأسماع بأعجب من أخباره) [٨١]

---

[٨٠] موسوعة الغدير ج ١٢ ص ٣٢٦ .

[٨١] خلاصة الأثر للمحبي ج ٣ ص ٤٤٠ كما في موسوعة الغدير ج ١٢ ص ٣٢٦ .

رحلاته :

ساح شيخنا الكبير الشيخ البهائي – قدس سره - في مختلف البلدان ردحاً من عمره لاقتناء العلوم والآثار ، وجال كثيراً من بلدان العالم واجتمع خلال هذه الأسفار مع أساطين العلماء والمفكرين والمبدعين وأعلام الأمة من مختلف المذاهب والعباقرة وأساتذة العلوم والفنون وتعلم منهم وعلم الآخرين وهذا ما يدل على كثرة أساتذته وتنوعهم المذهبي كما علم المئات من العلماء من مختلف الطوائف .

فقد زار مكة المكرمة والمدينة المنورة لأكثر من مرة ، كما زار العتبات المقدسة في العراق ، ومشهد الإمام الرضا عليه السلام ، وهرات ، وآذربيجان ، ومصر ، والقدس ، ودمشق ، وحلب ، وغيرها . مع صعوبة المواصلات وبطئها آنذاك .

قال المحبي : زار النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة ، واجتمع مع كثير من أهل الفضل ، ثم عاد وقطن بأرض العجم – إلى أن قال – وصل أصفهان ، فوصل خبره إلى سلطانها شاه عباس ، فطلبه لرئاسة علمائها فوليها وعظم قدره ، وارتفع شأنه [٨٢]

مشايخه :

[٨٢] موسوعة الغدير ج ١٢ ص ٣٢٠

تنوعت معارف الشيخ البهائي كما تنوعت مشايخه فلم يقتصر على شريحة معينة منهم أو على طائفة مخصوصة أو على مذهب من المذاهب بل أخذ من الكل ما يروقه فقد ضم علم غيره إلى علمه من هؤلاء :

١. والده المقدس الشيخ حسين عبد الصمد .

٢. الشيخ عبد العالي الكركي المتوفى (٩٩٣ هـ) ابن المحقق الشيخ علي الكركي المتوفى (٩٤٠ هـ) .

ومن أساتذته ومشايخه من علماء السنة :

١. الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدسي الشافعي . يروي عنه الشيخ البهائي وله منه إجازة مؤرخة سنة (٩٩٢ هـ) نقلها صاحب البحار .

٢. الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري . قال المحبي : وكان الأستاذ يبالغ في تعظيمه فقال له مرة : يا مولانا أنا درويش فقير كيف تعظمني هذا التعظيم ؟

قال شممت منك رائحة الفضل .

وامتدح الأستاذ بقصيدته المشهورة التي مطلعها :

يا مصر سقياً لك من جنـة　　قطوفهـا يانعـة دانيـة

ترابها كـالتبر في لطفـه　　وماؤها كالفضة الصافيـة

قد أخجل المسك نسيم لهـا　　وزهرها قد أرخص الغاليه

دقيقة أصنـاف أوصافهـا　　ومـالها في حسنهـا ثانية

منذ أنخت الركب في أرضها   نسيت أصحابي وأحبابيـــه

تلامذته :

غرف من نمير علمه الجم الغفير من العلماء والمحققين والمجتهدين والفلاسفة وأعلام الأمة منهم :

١. المولى صدر الدين الشيرازي الشهير بملا صدرا المتوفى ١٠٥٠ هـــ مجدد الفلسفة الإسلامية .
٢. المولى الشيخ محمد تقي المجلسي الأول المتوفى ١٠٧٠ هـــ والد صاحب البحار .
٣. المولى صالح المازندراني صاحب شرح أصول الكافي . المتوفى ١٠٨١ هـــ
٤. المولى محمد المحسن الفيض الكاشاني المتوفى ١٠٩١ هـــ

وقد ذكر العلامة الأميني قرابة ٩٧ شخصاً .

تآليفه القيمة :

إن يكن الشيخ البهائي غيبه عن العيون طوارق الحدثان فقد أبقى له علمه الجمّ وآثاره القيمة حياة طيبة سعيدة خالدة مع الدهر . ذكر العلامة الأميني له ٧٧ كتاباً ورسالة . ولأهمية كتبه وغزارة علمه تصدى عدد كبير من العلماء لشرح كتبه وتوضيحها والتعليق عليها بلغت أكثر من ١٤٥ كتاباً .

الأمر الثاني :

حول الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية . والسؤال الذي يتردد كثيرا على الألسن ما معنى الوحدة بين الأمة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية ، فهل المراد بها أن جميع المذاهب الإسلامية يجب أن تكون على مذهب واحد ؟ . وأن السني يتحول إلى شيعي ، أو أن الشيعي يتحول إلى سني فهل هذه هي الوحدة أو ماذا تعني ؟

الجواب : بكل بساطة أن مثل هذه الإشاعات والتهويلات في معنى الوحدة هي التي تثار من قبل أعداء الأمة وأنصار الفتن المذهبية ووسائل الإعلام المغرض الذين يمزقون الأمة كل ممزق . ويضعون تصورات وهمية أمام الجماهير حتى لا تتفاعل مع مثل هذه الأطروحات .

أما معنى الوحدة بكلمة مختصرة فهي :

١. أن تتعاون الأمة وتتوحد فيما اتفقت عليه وتؤمن به جميعاً كالإيمان بالله رباً وبمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله نبياً وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلة وبالصلاة والصيام والحج والزكاة .... فريضة .
٢. أن تعذر كل طائفة الطائفة الأخرى فيما اختلفت فيه معها .
٣. احترام كل طائفة للطائفة الأخرى والتعايش السلمي بينهم والتخلق بالأخلاق الإسلامية فيما بينهم .

الشيخ البهائي والوحدة الإسلامية

بعد أن تقلد الشيخ البهائي مشيخة الإسلام في الدولة الصفوية – وإن كانت لفترة قصيرة - وجاء على أنقاض فتنة طائفية ومذهبية حصلت بين السنة والشيعة راح ضحيتها الآلف من المسلمين حيث سفكت دماؤهم وهتكت أعراضهم وسلبت أموالهم حاول أن يلم شعث الأمة وأن يوحد صفوفها بسيرته العملية والعلمية بحسن معاشرته معهم وبذل الغالي والنفيس في ذلك ، فقد نقل السيد الجزائري أن بعض العلماء ممن سبق الشيخ البهائي كان متجاهرا باللعن للمخالفين حتى سبب ذلك إثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية والملوك والرؤساء

قال السيد : ولما سمع الملوك من المخالفين بهذا الأمر ، ثارت الفتن بين السلاطين ، وسفكت الدماء ، وذهبت الأموال.

فكان الشيخ بهاء الملة والدين ، يلاحظ مثل هذه الأمور ، ويحسن المعاشرة مع أرباب المذاهب ، خوفا من إثارة الفتن [٨٣] .

وهذا شعور منه بأهمية الوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية ونبذ التعصب الطائفي والمذهبي وسوء الظن بالآخرين وكيل التهم والسباب لهم وتكفيرهم .

أسلوبه العلمي والعملي في الوحدة

كان كثير الإحترام للطرف الذي يخالفه في الرأي والعقيدة ويحاول أن لا يستفزه ولا يجرح مشاعره حتى عند إبطال أقواله وآرائه بل يقرر رأي

---

[٨٣] عوالي اللئالي - لابن أبي جمهور الأحسائي ج ١ ص ١٤ – المقدمة .

المخالف مع الإنصاف والعدل تقريراً يحيط بكل دقائق المطلب ويعرض أدلته كاملة وبكل أمانة ولما يسمعه السامع فكأنما هو رأيه ويدافع عنه وأن الحق معه ، ثم يقرر الرأي الذي يراه هو وبكل لباقة ويطرح أدلته دون أن يشعر الخصم أن هذا هو رأيه ثم يقارن بينهما بلطافة ودقة وكثيراً ما يترك الحكم للسامع أو الخصم في الحكم على ما هو الحق وبهذه الطريقة الحكيمة يتمكن من إقناع الخصم من طرف خفي ويؤثر فيه ويخضعه لرأيه دون التحامل عليه بل في حالات كثيرة يضمن رضا الخصم وإعجابه بتقريره حيث يتصور أنه عالمه والمدافع عنه بل ويجذبه إليه .

وتحمل في سبيل هذا الأسلوب الوحدوي الكثير من المتاعب والتهجم والتحامل عليه من أبناء جلدته ومن صنفه حتى ألصقوا به التهم التي لا تليق أن تصدر من أقل طلبة العلم .

وفي مقام الدفاع عن الشيخ البهائي جاء في المقدمة التي كتبها الشيخ مجتبى العراقي لكتاب - عوالي اللئالي - لابن أبي جمهور الأحسائي ج ١ ص ١١ : نقل عن السيد نعمة الله الجزائري في حديثه عن بعض علمائنا الذين يحسنون المعاشرة مع الطوائف الأخرى والدفاع عنهم ومنهم الشيخ البهائي العاملي قال :

(وأما شيخنا بهاء الملة والدين طيب الله ثراه ، فقد تكلم فيه بعضهم :

تارة بميله إلى علوم الصوفية ، وأخرى بسماعه الغناء وثالثا بحسن معاشرته لطوائف الإسلام وأهل الملل ، بل وغيرهم من الملاحدة وأهل الأقوال الباطلة ، حتى أني وردت البصرة ، وكان أعلمهم رجلا يسمى الشيخ عمر ، فتجارينا في البحث والكلام حتى انتهينا إلى أحوال الشيخ بهاء الدين (ره) فقال : لعلكم تزعمون أنه من الإمامية ، لا والله ، بل هو من أفضل السنة والجماعة ، وكان يتقي من سلطان العصر ، فلما سمعت منه هذا الكلام ، أطلعته على مذهب الشيخ ، و على ما تحقق به عنده أنه من الإمامية ، فتحير ذلك الرجل وشك في مذهب نفسه ، بل قيل أنه رجع عنه باطنا . .

وحول اسلوبه العلمي يواصل السيد الجزائري حديثه بقوله :

وحدثني عنه أوثق مشايخي في أصفهان أنه أتى في بعض السنين إلى السلطان الأعظم الشاه عباس الأول تغمده الله برضوانه ، جماعة من علماء الملاحدة ، طالبين المناظرة مع أهل الأديان ، فأرسلهم إلى حضرة الشيخ بهاء الدين ، فاتفق أنهم وردوا مجلسه وقت الدرس ، وعلم ما أتوا به ، فشرع في نقل مذهب الملاحدة ، وفي دلائلهم ، وفي الجواب عنها ، حتى مضى عامة النهار فقام الملاحدة ، وقبلوا الأرض بين يد يه ، وقالوا : هذا الشيخ هو عالمنا وعلى ديننا ، ونحن له تبع ، ثم لما تحققوا مذهبه بعد ذلك رجعوا إلى دين الإسلام ولو أنه طاب ثراه ناظرهم كمناظرة الخصوم ، لكان متهما عندهم ، ولما رجعوا عن باطلهم) .

ثم يؤكد السيد الجزائري أن هذا الأسلوب في الحوار وإقناع الطرف الآخر هو من أنجع الأساليب التي استخدمها الأنبياء والأولياء عليهم السلام فيقول :

(وهذا نوع لطيف من المناظرة ، استعمله الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم في المباحثة مع المعاندين وأهل التعصب في المذاهب الباطلة ، وقد أمروا به بقوله تعالى: { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } النحل /١٢٥.

ومنه ما حكاه الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وآله {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وفي سورة الكافرون {لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} ٢-٦ .

ومن طالع كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي قدس الله ضريحه يظهر لنا أن هده الطريقة في المناظرة هي الأصل والأنفع في استجلاب المنافقين إلى الدخول في الدين القويم .) [٨٤]

ويؤكد السيد الجزائري على الأسلوب الناجح الذي كان يستعمله الشيخ البهائي في وحدة الكلمة بين الأمة الإسلامية ويضرب بعض الأمثلة على ذلك بقوله :

(وحدثني أيضا ذلك الشيخ أبقاه الله تعالى – يعني أحد مشايخه الثقات - أن رجلين من أهل بلدة بهبهان ، شيعي وسني تناظرا وتباحثا في

[٨٤] عوالي اللئالي - لابن أبي جمهور الأحسائي ج ١ ص ١٢

المذهب فاتفق رأيهما على أن يأتيا إلى أصفهان ويسألا ذلك الشيخ من مذهبه ، ويرجعا إليه ، فلما وردا أصفهان ، جاء الرجل الشيعي إلى حضرة الشيخ سرا عن صاحبه ، و حكى له ما جرى بينه وبين ذلك الرجل ، فلما وردا على الشيخ نهارا وأعلماه أنهما تراضيا بدينه شرع في حكاية المذهبين ، بدلائل الفريقين ، وما أجاب به علماء المذهبين ، حتى انقطع النهار ، فقاما من عنده وكل منهما يدعى أن الشيخ على مذهبه . وانه على دين الإمامية رجع إليه .

وأيضا كان رحمه الله كثير السفر إلى بلاد المخالفين وهجر عن وطنه وأقاربه وعشائره ، فكان يحسن المعاشرة معهم لذلك وأمثاله .

ولقد صدق في وصف نفسه من قصيدته الرائية :

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولاتصل الأيدي إلى قعر أسراري

مقامي بفرق الفرقدين فما الذي يؤثره مسعاه في خفض مقداري

أعاشر أبنـــاء الزمـــان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهـــوا بأفكاري

وحدثني من أثق به : أن بعض علماء هذه الفرقة المحقة ، كانوا ساكنين في مكة زادها الله شرفا وتعظيما ، فأرسلوا إلى علماء أصفهان من أهل المحاريب والمنابر ، أنكم تسبون أئمتهم ، ونحن في الحرمين الشريفين نعذب بذلك اللعن والسب[٨٥].

---

[٨٥] عوالي اللئالي - لابن أبي جمهور الأحسائي ج ١ ص ١٣

الفصل الثامن

متطلبات الوحدة

التعايش مع الآخرين

التعايش مع الآخرين الذين يختلف معهم في الفكر أو العقيدة أو الدين قد يكون من الأمور الضرورية التي لا يمكن للإنسان أن يفر منها :

قال تعالى :{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْـــرَائِيلَ لاَ تَعْبُـــدُونَ إِلاَّ اللّـــهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُـــواْ لِلنَّـــاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّـــنكُمْ وَأَنـــتُم مِّعْرِضُونَ} البقرة / ٨٣ .

إن الإنسان اجتماعي بطبعه فلا بد له من المخالطة وفي هذه الأزمنـــة التي تشابكت فيها الأمور وتقاربت المسافات وتداخلت المصالح وأصبح العالم كقرية واحدة ، فالمسلمون والمؤمنون جزء من هذا العالم لا بد لهم من المخالطة والمعاشرة مع الآخرين وحينئذ يدور الأمر بين الانعزال عن العالم والانكفاء على الذات أو الاجتماع والتعايش معهم بخلق حســـن ومعاشرة طيبة .

ولا شك أن الأمر الثاني أفضل وأحسن من الأمر الأول بكثير.

والإسلام دستور الحياة للإنسانية اختاره الله لها وهو أعلم بمصلحة الإنسان من نفسه ويضع الحلول لكل مناحي الحياة ومنها في جانب الاشتراك في الوطن مع الآخرين ، ولأجل ذلك أخذ على الإنسان العهد والميثاق على أن يلتزم بالأسس الأولية الضرورية التي يحتاجها في تكوين المجتمع الصالح ويعيش هذا الإنسان مع الآخرين بوئام وانسجام .

الآية المباركة نموذج من النماذج التي يعرضها القرآن الكريم في هذا الجانب وهي :

١. العبادة لله وحده لا شريك له . وهذا عنصر عقائدي لا يمكن التخلف عنه .
٢. بر الوالدين والإحسان إليهم ، برين كانا أم فاجرين .
٣. الإحسان إلى ذوي القربة .
٤. الإحسان إلى اليتامى .
٥. الإحسان إلى المساكين . وفي الثلاثة الأخيرة الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وإن كان في بعض الحالات قد يكون مستحباً إلا أنه في أكثر الحالات يكون واجباً . وأخذ العهد والميثاق إنما يتناسب مع الواجب لأهميته والحاجة الملزمة إليه .
٦. القول الحسن إلى الناس جميعاً .
٧. إقامة الصلاة .

٨. إيتاء الزكاة .

وذكر بني إسرائيل في الآية وأخذ العهد والميثاق عليهم لم يكن من باب الاختصاص وأن غيرهم غير مطالبين بمواد هذا الميثاق .

ومع أن بني إسرائيل التزموا بهذه المواد وأعطوا العهد والميثاق لله سبحانه إلا أنهم نكثوا أيمانهم إلا قليلاً منهم .

وإذا كان بنو إسرائيل مع الله هكذا فهل يفوا بالعهود والمواثيق مع الفلسطينيين أو مع غيرهم .

أهمية القول الحسن للناس :

إن القول الحسن للناس أحد مواد هذا العهد والميثاق الذي أخذه الله على عباده وذكر بني إسرائيل من باب المثال لا الاختصاص .

فإن قوله تعالى : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } جاء متوسطا بين أمور واجبة عقائدية أو فقهية أو أخلاقية مما يؤكد على أهميته وأثره في حياة الناس كل الناس .

وقد جاء في تفسير هذه الآية المباركة (والمعنى قولوا للناس قولا حَسَناً وهو كناية عن حسن المعاشرة مع الناس ، كافرهم ، ومؤمنهم ...)[٨٦]

التعايش في القرآن

---

[٨٦] الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢١٩ .

وهذا يعني أن القرآن الكريم هو أول من طرح التعايش بين النـــاس جميعاً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وأعـــراقهم ولغـــاتهم وألـــوانهم وبلدانهم وطبقاتهم الاجتماعية ، وأن هذه الاختلافات لا تدعو إلى عدم التعايش وعدم العشرة الحسنة بل تبقى هذه الاختلافات على حالهـــا ، رافدا من روافد المعرفة قال تعالى :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الحجرات /١٣.

ويبقى التعايش وحسن المعاشرة على حاله يستفيد من تعدد الثقافات والمعرفة .

إن هذا المبدأ القرآني هو في الحقيقة مبدأ عالمي لم يقتصره القرآن على خصوص المسلمين أو المؤمنين بل عداه إلى كل الناس على وجه الأرض { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } كما أن هذا يدل على عظمة الإسلام وقوتـــه وشموله وعالميته ، وقد أكد في هذه الآية على حسن المعاملة لكل الناس حيث جاء فيها كلمة {حُسْناً} وهو مصدر جيء به للمبالغة مثـــل مـــا تقول (زيد عدل) ومثل قوله تعالى :{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْـــنًا ....} العنكبوت /٨.

أي ووصينا الإنسان بوالديه توصية حسنة أو ذات حسن أي أمرنـــاه أن يحسن لوالديه .

موقف أهل البيت من التعايش مع الآخرين

أئمة أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم بنص حديث الثقلين المتواتر وأنهم مع القرآن لا يفترقان ، وهم أحق من طبق القرآن كما أنهم هم القوّام به وأعرف بعمومياته وخصوصياته وناسخه ومنسوخه من غيرهم .

وأحاديثهم المتعددة قد أكدت التعايش وحسن المعاشرة مع الآخرين ، التي ترمي إليه الآية المباركة ليس بين المسلمين فحسب بل مع كل الناس وإليك بعض هذه الأحاديث المفسرة للآية والمتطابقة معها [٨٧] :

١. فعن عبد الله بن سنان ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (أوصيكم بتقوى الله ، ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا ، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }

ثم قال : عودوا مرضاهم ، واشهدوا جنائزهم ، واشهدوا لهم وعليهم ، وصلوا معهم في مساجدهم.

---

[٨٧] هذه الروايات وإن نوقش في إسناد بعضها إلا أنها :

١ -متطابقة مع القرآن الكريم فلا يحتاج إلى النظر في سندها .

٢ -متطابقة مع الروايات الصحيحة المتقدمة في الأحاديث السابقة .

٣ -إن الروايات المخالفة لها ضعيفة السند وعلى فرض صحة سند بعض الروايات المخالفة فهي تخالف القرآن الكريم والروايات الصحيحة على نحو التناقض فلا بد أن يضرب بها عرض الحائط .

ثم قال : أي شيء أشد على قوم يزعمون أهم يأتمون بقوم فيأمروهم وينهوهم فلا يقبلون منهم ؟ ويذيعون حديثهم عند عدوهم فيأتي عدوهم إلينا فيقولون لنا : إن قوما يقولون ويروون عنكم كذا وكذا فنحن نقول : إنا برآء ممن يقول هذا ، فيقع عليهم البراءة .[88]

٢. وفي رواية معتبرة عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } قال : (قولوا للناس حسنا ولا تقولوا إلا خيرا حتى تعلموا ما هو[89] ؟).[90]

٣. وعن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال في قول الله عز وجل : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } قال : (قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم) .[91]

٤. وعن سدير الصيرفي قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : اطعم سائلا لا أعرفه مسلما ؟

---

[88] المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص ١٨ و وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ج ٨ ص ٣٠١ ح ١٠٧٢٤

[89] يعنى لا تقولوا لهم الا خيرا ، ما تعلمون فيهم الخير وما لم تعلموا فيهم الخير ، فاما إذا علمتم أنه لا خير فيهم وانكشف لكم عن سوء ضمائرهم بحيث لا يبقى لكم مرية فلا عليكم ان لا تقولوا خيرا . و " ما " يحتمل الموصولية والاستفهام والنفى (الوافي) .

[90] الكافي - الشيخ الكليني ج ٢ ص ١٦٤ .

[91] الكافي - الشيخ الكليني ج ٢ ص ١٦٤ .

فقال : نعم أعط من لا تعرفه بولاية ولا عداوة للحق إن الله عز وجل يقول : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } ولا تطعم من نصب لشيء من الحق أو دعا إلى شيء من الباطل .[٩٢]

٥. وعن جابر ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، في قول الله عز وجـــل : { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }

قال : (قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم ، فـــإن الله عـــز وجل يبغض اللعان ، السباب ، الطعان على المؤمنين ، الفاحش المتفحش ، السائل الملحف ، ويحب الحيي الحليم ، العفيف المتعفف[٩٣]

٦. جاء فِي كِتَابِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِـــي عَبْدِ اللَّهِ (ع) أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ ..... (وَ خَالِطُوا النَّـــاسَ وَ أْتُوهُمْ وَ أَعِينُوهُمْ وَ لا تُجَانِبُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ كَمَا قَـــالَ اللَّـــهُ تَعَالَى { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }[٩٤]

والمراد من الناس الأعم من المؤمنين وغيرهم .

٧. رواية مصباح الشريعة التالي ذكرها .

حسن المعاشرة نعمة من الله

---

[٩٢] الكافي - الشيخ الكليني ج ٤ ص ١٣ .

[٩٣] الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٣٢٦ .

[٩٤] مستدرك الوسائل ج : ٨ ص : ٣١٨ ح ٩٥٤٢

إن نعم الله كثيرة على العبد ظاهرة وباطنة ومن تلك النعم هي حسن المعاشرة مع الآخرين والتعايش معهم والقول الحسن لهم وهذا ما جاء في كتاب مِصْبَاح الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام : (حُسْنُ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي غَيْرِ مَعْصِيَتِهِ مِنْ مَزِيدِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ عَبْدِهِ) .

ويواصل هذا الكلام بأن حسن التعايش والمعاشرة كما أنها نعمة من الله على عبده ، أيضا تنم عن حسن السر من العبد مع مولاه ويوجد اتصال وثيق بين الخضوع لله في السر وبين حسن المعاشرة مع الآخرين فيقول الإمام عليه السلام حسب الكلام المنسوب إليه : (وَمَنْ كَانَ خَاضِعاً لِلَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ كَانَ حَسَنَ الْمُعَاشَرَةِ فِي الْعَلانِيَةِ)

ويواصل كلامه بأن المعاشرة يجب أن تكون لله لا لغيره وأن تكون للآخرة لا للدنيا بقوله :

(فَعَاشِرِ الْخَلْقَ لِلَّهِ تَعَالَى وَ لا تُعَاشِرْهُمْ لِنَصِيبِكَ لِأَمْرِ الدُّنْيَا وَ لِطَلَبِ الْجَاهِ وَ الرِّيَاءِ وَ السُّمْعَةِ وَ لا تَسْقُطَنَّ بِسَبَبِهَا عَنْ حُدُودِ الشَّرِيعَةِ مِنْ بَابِ الْمُمَاثَلَةِ وَ الشُّهْرَةِ فَإِنَّهُمْ لا يُغْنُونَ عَنْكَ شَيْئاً وَ تَفُوتُكَ الْآخِرَةُ بِلا فَائِدَةٍ)

وبصدد طرح مشروع المجتمع الصالح وتوحيده كما تقدم عن الإمام زين العابدين والرضا عليهما السلام فيقول :

(فَاجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ الأَبِ وَ الأَصْغَرَ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَـــدِ وَ الْمِثْلَ بِمَنْزِلَةِ الأَخِ وَ لا تَدَعْ مَا تَعْلَمُ يَقِيناً مِنْ نَفْسِكَ بِمَا تَشُكُّ فِيهِ مِنْ غَيْرِكَ)

وبصدد الحديث عن من يريد هداية الناس وتحمل المسؤولية للمؤسسة الدينية يقول :

(وَ كُنْ رَفِيقاً فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَ شَفِيقاً فِي نَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وَ لَا تَدَعِ النَّصِيحَةَ فِي كُلِّ حَالٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { وَقُولُـــواْ لِلنَّـــاسِ حُسْناً } [٩٥]

٨. وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمدا .

إنصاف الآخرين :

ومن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام يوصي بها ابنه محمدا المعروف بابن الحنفية جاء فيها :

(وَ أَحْسِنْ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْـــكَ ، وَ ارْضَ لَهُمْ مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ ، وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

وَ حَسِّنْ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ خُلُقَكَ حَتَّى إِذَا غِبْتَ عَنْهُمْ حَنُّوا إِلَيْـــكَ وَ إِذَا مِتَّ بَكَوْا عَلَيْكَ وَ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَ لَا تَكُـــنْ مِـــنَ الَّذِينَ يُقَالُ عِنْدَ مَوْتِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٩٦]

---

[٩٥] مستدرك الوسائل ج : ٨ ص : ٣١٨ ح ٩٥٤١

[٩٦] من لا يحضره الفقيه ج : ٤ ص : ٣٨٧

مع الأسف الشديد أن هذه التعاليم الإسلامية السامية انحسر عنـــها أكثر المسلمين وابتعدوا عنها كل البعد حتى أن كثيرا من المحسوبين على أهل البيت من الشيعة .

وبعض من يدعي الدفاع عن مذهبهم من المؤسسة الدينيـــة علـــى خلاف هذه الأخلاقية تماماً .

وكأنما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام – والعياذ بالله - أمر أتباعـــه وشيعته ومن يتكلم باسمه ويدافع عنه أن يسيئوا إلى جميع الناس حتى إلى من هو داخل في المؤسسة الدينية بعضهم مع البعض الآخـــر بمختلـــف الإساءات و الاهانات ، وكأنما هذا هو جهاد النفس والتقوى والـــورع !! .

وكأنما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمرهم أن يرضوا لأنفسهم ما لا يرضوه لغيرهم . وأن يستقبحوا لغيرهم ما يحسنوه لأنفسهم .

وانقلبت الموازين فتحولت مكارم الأخلاق إلى مساوئه ، ومســـاوئ الأخلاق إلى محاسنه .

إن هذه الكلمات قواعد أساسية ودستور إسلامي طرحه أئمة أهـــل البيت عليهم السلام ودعوا إليه وجاهدوا من أجله فيجب على الأمة وفي مقدمتها شيعتهم ومحبيهم أن يمشوا على هذا الدستور ويتمسكوا به ويستضيئوا بنور هداهم في بناء المجتمع الصالح الذي ينشده أئمة أهـــل البيت عليهم السلام ويتطلعون إليه وقد بذلوا الغالي والنفيس في سبيل

ترسيخه و(أئمة أهل البيت عليهم السلام دعاة الإصلاح الاجتمــاعي في دنيا العرب والإسلام ، فهم الذين حملوا الأمانة ، وأدّوها بــإخلاص وإيمان إلى المجتمع الإنساني ، وعانوا في سبيل ذلك أشق ألوان الاضطهاد والتعذيب والتنكيل حتى استشهدوا في ميادين الشرف والكرامة دفاعاً عن الإسلام ، ودفاعاً عن حقوق المسلمين ، ودفاعــاً عــن حقــوق المظلومين والمضطهدين) [٩٧]

التعايش مع الناس :

(وَ اعْلَمْ أَنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ مُدَارَاةُ النَّــاسِ وَ لا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُعَاشِرُ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لا بُدَّ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ إِلَى الْخَلَاصِ مِنْهُ سَبِيلا .

فَإِنِّي وَجَدْتُ جَمِيعَ مَا يَتَعَايَشُ بِهِ النَّاسُ وَ بِهِ يَتَعَاشَرُونَ مِلْءَ مِكْيَــالٍ ثُلُثَاهُ اسْتِحْسَانٌ وَ ثُلُثُهُ تَغَافُلٌ)

إن هذه الكلمات هي من أبلغ الكلام التي قــدمت العطــاء للأمــة وكشفت أهمية ومصلحة الأمة في التعايش بين الناس والمراد بكلمــة (استحسان) هو جانب التعقل والفطنة ، كما تقدم ذلك في كلام الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام .

والتغافل يرجع إلى الفطنة لأن التغافل لا يحصل إلا مع الالتفات .

---

[٩٧] القرشي - الإسلام منهج مشرق للحياة ص ١٦

ثم يركز الإمام في التعايش مع الآخرين على الكلام لأنه يحصل به التفاهم والتخاطب ونقل المفاهيم والتفهم فيقول عليه السلام :

(وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنَ الْكَلامِ وَ لا أَقْبَحَ مِنْهُ ، بِالْكَلامِ ابْيَضَّتِ الْوُجُوهُ ، وَ بِالْكَلامِ اسْوَدَّتِ الْوُجُوهُ .

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْكَلامَ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرِقَكَ فَإِنَّ اللِّسَانَ كَلْبٌ عَقُورٌ فَإِنْ أَنْتَ خَلَّيْتَهُ عَقَرَ وَ رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً)

وينبه الإمام على خطر عدم الاعتذار عن الخطأ والاستغناء برأيه عن النظر في آراء الآخرين بقوله :

(مَنْ سَيَّبَ عِذَارَهُ قَادَهُ إِلَى كُلِّ كَرِيهَةٍ وَ فَضِيحَةٍ ثُمَّ لَمْ يَخْلُصْ مِنْ دَهْرِهِ إِلا عَلَى مَقْتٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ ذَمٍّ مِنَ النَّاسِ)[٩٨]

(قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ وَ مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الخطأ ، مَنْ تَوَرَّطَ فِي الأُمُورِ غَيْرَ نَاظِرٍ فِي الْعَوَاقِبِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُفْظِعَاتِ النَّوَائِبِ ، وَ التَّدْبِيرُ قَبْلَ الْعَمَلِ يُؤْمِنُكَ مِنَ النَّدَمِ ، وَ الْعَاقِلُ مَنْ وَعَظَتْهُ التَّجَارِبُ وَ فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ .

وَ فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ .

الْيَّامُ تَهْتِكُ لَكَ عَنِ السَّرَائِرِ الْكَامِنَةِ تَفَهَّمْ وَصِيَّتِي هَذِهِ وَ لا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ) [٩٩]

---

[٩٨] من لا يحضره الفقيه ج : ٤ ص : ٣٨٨

ويمكن أن يستخلص من الروايات المتقدمة ما يلي :

١. إن الأئمة عليهم السلام يؤكدون على الأمر بتقوى الله .

٢. إن كثيراً من تصرفات الشيعة أزاء مخالفيهم تكــون ســبباً في مذلتهم واهانتهم لأن هذه التصرفات منهم يحملون مخالفيهم ما لا يتحملون ويعطوهم كثيراً من المبررات للتعدي عليهم (ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا) .

٣. الأمر بالتواصل مع مخالفيهم في عيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم ....

٤. العتب من الأئمة عليهم السلام على بعض شيعتهم بعدم امتثال أوامرهم والانتهاء بنواهيهم .

٥. يتصرف بعض رواة الشيعة خلاف رغبة الأئمة عليهم الســلام مما يسبب لهم الإحراج مع مخالفيهم .

٦. إن الأئمة عليهم السلام يتبرؤون من بعض شيعتهم لما يصــدر منهم .

٧. إن الأئمة عليهم السلام يأمرون شيعتهم أن لا يقولوا لمخالفيهم إلا الخير ويعلمون أنه خير .

٨. إن الأئمة عليهم السلام يأمرون شيعتهم أن يقولوا للآخــرين مثل ما يحبون أن يقال لهم من الخير .

---

[٩٩] من لا يحضره الفقيه ج : ٤ ص : ٣٨٨

٩. يجوز الإطعام لمن لا يعرفونه بالنصب والعداء للحق ولا يستعمل الباطل .

١٠. النهي عن اللعن والسب والشتم والفحش كما في رواية جابر عن الإمام الباقر عليه السلام (فإن الله عز وجل يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش)

١١. إن الأئمة عليهم السلام ينبهون شيعتهم أنه ربما في كثير من الحالات يتطلب منهم أن يخالطوا مخالفيهم وإعانتهم وأن يقولوا لهم القول الحسن فليفعلوا ذلك ولا يجانبوهم .

١٢. حسن التعايش والمعاشرة مع الآخرين هي نعمة من الله على عبده .

١٣. حسن التعايش والمعاشرة مع الآخرين تكشف عن حسن السر مع الله .

١٤. حسن التعايش والمعاشرة مع الآخرين ينبغي أن يكون لله وحده لا لغيره .

١٥. معاملة الآخرين بحسن الظن . ولا ينافي أخذ الحذر .

١٦. إنصاف الآخرين من نفسه .

١٧. الإحسان إلى جميع الناس برهم وفاجرهم .

١٨. إن الأئمة عليهم السلام يأمرون شيعتهم أن يحسنوا أخلاقهم مع جميع الناس .

١٩. المداراة للناس كل الناس .

٢٠. التقيد بالكلام الحسن { وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }

٢١. الاستفادة من آراء الآخرين .

٢٢. الاستفادة من التجارب التي مر بها أو مرّ بها الآخرون .

٢٣. ينبغي للداعية لله أن يكون هو أول من يتصف بهذه الأخلاقية .

هذه الروايات المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام تكشف لنا عظمة أهل البيت عليهم السلام وبعد نظرهم للأمور وتحملهم المسؤولية في بناء المجتمع الصالح كما تكشف لنا أخلاقيتهم العالية المتميزة مع أعدائهم ومخالفيهم .

والذي ينظر بعين الإنصاف والاعتبار والوضع الحالي ، وينظر لما تقدم من الروايات التي تحدثت عن أخلاقية أهل البيت عليهم السلام وموقفهم من التعايش وحسن المعاشرة مع من يخالفهم في الدين أو المذهب ويقارن ذلك مع أخلاقية ومواقف بعض من يتحدث باسم المؤسسة الدينية لمذهب أهل البيت يرى الفارق الكبير بينهما بل وعلى النقيض منه تماماً.

ومن الإنصاف أنه لا يصح لأحد أن يحمل مذهب أهل البيت عليهم السلام سلبيات أتباعهم ، بل ولا سلبيات المؤسسة الدينية لهم .

تعايش النبي مع مخالفيه

مع أن هؤلاء العظماء يجب على الأمة طاعتهم وامتثال أوامــرهم إلا أنه قد وجد في أزمنتهم وبعد رحيلهم إلى عالم الآخرة من يخالفهم الرأي والمنهجية والفكر وهذه حقيقة واقعة قد أثبتــها التــأريخ والروايــات الصحيحة .

في هذه العجالة أحببت أن نتلمس منهجية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومنهجية أهل بيته الأطهار عليهم السلام مع من يخــالفهم في الرأي ونتبين أخلاقية هؤلاء العظماء مع من يخالفهم في العقيدة والمذهب والفكر وإن كانوا لا يرتضونه فهل كانوا يتعاملون معهم بكل قســوة والتكفير والتفسيق والضلال والانحراف عن العقيدة والحكــم علــيهم بالخروج من الدين ، ويأخذوهم بالقوة والبطش والإرهاب والاستبداد ويلغوهم نهائياً ؟ ولا يقبلون منهم صرفاً ولا عدلاً ؟ .

أم كانوا يتعاملون معهم بالموضوعية والعدل والإنصاف ؟ وبالمحبــة والمودة والعطف والحنان والأخلاق الحســنة ؟ وفي بعــض الحــالات بالإعراض على حسب ما يتناسب مع الحالة الواقعة .

هذه أسئلة كثيرة وملحة لا بد من الإجابة عليها من واقع حياة نــبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلوكياته مع مخالفيه والذين يعصــونه ولا يمتثلون أوامره أو لا يرضخون لتوجيهاته السياسية والاجتماعيــة بــل

وسلوكياته مع من يخالفه في الدين ولا يعترف له بالنبوة ولا يدين لـــه بدين الإسلام ، وكذلك منهج أهل بيته الميامين مع مخالفيهم في العقيدة والدين والفكر والسياسة والإدارة طيلة حياتهم وإليك بعض الأمثلة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله .

لا تبرير !

وينبغي الإلتفات إلى ملاحظة مهمة : وهي أننا عندما نـــورد هـــذه الأمثلة والحوادث وندلل على الحرية والواقعية والعدالـــة والرحمـــة في الإسلام وسماحة النبي صلى الله عليه وآله وأخلاقياته وعظمته التي هي الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام لا نبرر عمل من يعترض عليه علـــى الإطلاق أو يخالفه في قول أو فعل مهما كانت الأسباب فإن رأي الـــنبي صلى الله عليه وآله هو رأي الإسلام وهو ما يريده الله سبحانه {وَمَـــا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُـــوَى } وليس لمن يخالفه أي عذر من الأعذار قال تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا}[١٠٠] ، ولكن سماحة الإســـلام وأخلاقية رسول الله صلى الله عليه وآله شملت من لا عذر له فكيف بمن له عذر ؟ وعذره يكون مقبولا .

١. قصة حاطب بن أبي بلتعة :

---

[١٠٠] ٣٦/ الأحزاب

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي عوانة عن حصين ، قال : تنازع أبو عبد الرحمن وحبان بن عطية ، فقال أبو عبد الرحمن لحبـان : لقـد علمت الذي جرأ صاحبك على الدماء - يعني عليا -

قال : ما هو ؟ لا أبا لك .

قال : شيء سمعته يقوله .

قال : ما هو ؟

قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله والزبير وأبـا مرثـد ، وكلنا فارس ، قال : حتى تأتوا روضة حاج[١٠١] (قال أبوسلمة هكـذا قال أبو عوانة حاج) فان فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بـن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها ، فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسير على بعـير لهـا ، وكـان حاطب كتب إلى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم .

فقلنا : أين الكتاب الذي معك ؟

قالت : ما معي كتاب . فأنخنا بها بعيرها فابتغاه في رحلها فما وجدنا شيئا ، فقال صاحباي : ما نرى معها كتابا .

---

[١٠١] لعل الصواب روضة خاخ وهو موضع بين الحرمين بخاءين معجمتين . وخاخ موضع النبات الحسن والكلأ .

قال : فقلت لقد علمنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآلـــه ثم حلف علي : والذي يحلف به لتخـــرجن الكتـــاب أو لاجردنـــك[١٠٢] فأهوت إلى حجزها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة فأتوا بهـــا رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال عمر : يا رسول الله قد خان الله و رسوله والمـــؤمنين دعـــني فأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا حاطـــب مـــا حملك على ما صنعت ؟

قال : يا رسول الله مالي أن لا أكون مؤمنا بالله ورســـوله ، ولكـــني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس مـــن أصحابك أحد الا له هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله ومالـــه ، قال : صدق لا تقولوا له إلا خيرا .

قال فعاد عمر فقال : يا رسول الله قد خان الله و رسوله والمـــؤمنين دعني فلأضرب عنقه[١٠٣] .[١٠٤]

---

[١٠٢] انما هددها بتجريدها من حجزها التى كانت محتجزة بها وهى الكساء وقد كان الكتـــاب في تلك الحجيزة .

[١٠٣] فراجعه في كتاب استتابة المرتدين و المعاندين وقتالهم من ج ٤ من صحيحه .
مجمع البيان للطبرسى ج ٩ / ٢٦٩ ، الكامل في التاريخ ج ٢ / ١٦٣ ، السيرة الحلبية ج ٣ / ٧٥ ، السيرة النبوية لزين دحلان بهامش الحلبية ج ٢ / ٢٤٥ .

[١٠٤] انظر : مجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٣ عن أحمد ، وأبي يعلى والبزار ، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٣ / ٤٦٤ ، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ عن أحمد ، والبخـــاري ، والترمـــذي ، وبقية الجماعة ما عدا ابن ماجة ، ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٧٤ .

ويمكن الملاحظة حول هذه الحادثة التي تحدثت عنها مختلف المصادر بعدة أمور :

١. أن المرأة التي حملت الكتاب لم تقتل ولم تضرب وإنما تركت مع حالها وربما ذهبت إلى مكة المكرمة .
٢. أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله صدق حاطب بن أبي بلتعة – كما يقول السيد شرف الدين - في الأسباب التي حملته على أن يبعث برسالة إلى مشركي قريش أو على الأقل لم يقبل بقتله .
٣. النبي منع من قتل حاطب مع ما قام به من أمر خطير على الإسلام والمسلمين .
٤. موقف عمر بن الخطاب يختلف عن رأي رسول الله في القضية ، وكان الواجب أن لا يقول عمر ما قال بعد أن اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الرجل ونهيه إياهم عن أن يقولوا له إلا خيرا .
٥. هل يوجد نظام في العالم قديماً وحديثاً أحسن من النظام الإسلامي أو أشد رحمة منه وهو يعامل أتباعه بمثل هذه المعاملة من الحرية والشفافية والشفقة والرحمة وإن أخطأ الفرد أو المجتمع فإن عدل الإسلام أوسع من ذلك .

٢. فتح مكة :

في فتح مكة تمثل الخلق الكريم من أخلاق الإسلام عندما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة المكرمة قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن . قال البيهقي (ثم دخل صناديد قريش من المشركين الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم ، ثم طاف – يعني رسول الله – بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال : ما تقولون وما تظنون.

قالوا : نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم .

قال : وقال : ما تقولون وما تظنون.

قالوا : نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم ثلاثاً .

فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أقول كما قال يوسف {قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} .

قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام.[١٠٥]

لو أراد النبي الأعظم أن ينتقم ممن أخرجه من وطنه ومسقط رأسه وأحب البقاع إليه وحاربوه ووقفوا أمام دعوته وألبوا عليه ، لو أراد أن يعاقبهم لفعل ولكنه طبق الإسلام وعدله ورحمته فعفا عنهم وعاملهم بكل محبة ومودة وعدل وإنصاف وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

---

[١٠٥] انظر : دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٥٨

٣. كتابه صلى الله عليه وآله إلى أمرائه فيمن يبردونه إليه :

أخرج الإمام مالك والبزاز - كما في مادة لقحة بوزن بركة من حياة الحيوان - للدميري - عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه كتب إلى أمرائه : إذا أبردتم إلي بريدا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه ، فقام عمر حين علم بذلك قائلا :

لا أدري أقول أم أسكت ؟

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : بل قل يا عمر .

فقال : كيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت ؟

فقال : ما تطيرت ولكن اخترت .

فهل يوجد حرية أعظم من هذه الحرية أحد أفراد المجتمع يعترض ليس على رئيس الدولة فقط وإنما على رسول الإنسانية {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} ولم يعاقب المعترض .

٤. صلح الحديبية :

أنكر جماعة على رسول الله صلى الله عليه وآله (صلح الحديبية) بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا به والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل بسببه في الدين أضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحاً مبيناً ونصرا عزيزا وفيه أنزل الله تعالى {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} عن الشعبي وغيره كما في الكشاف وغيره .

وعن موسى بن عقبة كما في الكشاف أيضاً أقبل رســول الله (ص) من الحديبية راجعاً فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح ، لقد صدونا عن البيت وصد هدينا ، فبلغ النبي (ص) ذلك فقال : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح – الحديث.

بيد أن أبا حفص (رضى الله عنه) لم يدرك يومئذٍ حكمته ، واعتقده خطة خسف فأنكره جهرة وصادر به علانيــة ، والقضــية مشــهورة وحسبك منها :

ما أخرجه مسلم في (باب صلح الحديبية مــن الجــزء الأول مــن صحيحه) .

ان عمر بن الخطاب قال يومئذٍ : ألسنا على حق وهم على باطل ؟

قال رسول الله (ص) : بلى .

قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟

قال : بلى .

قال : ففيمَ نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يابن الخطاب اني رسول الله ولــن يضيعني الله أبدا .

قال : فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل ؟

قال : بلى .

قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلـــى . قـــال : فعلام نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقـــال : يابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله ابداً ... الحديث .[١٠٦]

وأخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت .

وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط من صحيحه حديثاً جـــاء فيه : أن عمر قال : فقلت ألستَ نبي الله حقا ؟ قال : بلى .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا عل الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلم نعطى الدنية في ديننا إذن ؟

قال (ص) : إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري .

قلت : أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟

قال : بلى أفاخبرتك أنا نأتيه العام .

قال : قلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوّف به ؟

قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا ؟

قال : بلى .

---

[١٠٦] انظر: صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب ٣٤ صلح الحديبية ج٥ ، ص١٧٣ ط دار الجيل وج٣ ، ص١٤١٢ حديث ١٧٨٥.

صحيح البخاري كتاب التفسير سورة ٤٨ سورة الفتح ج٣ ، ص١٩٠ بحاشـــية الســـندي ، وج٦ ، ص١٧٠ ، ط مطابع الشعب ، تفســـير القـــرطبي ج١٦ ، ص٢٧٧ ، فـــتح القـــدير للشوكاني ج٥ ، ص٥٥ الطرائف لابن طاووس ج٢ ، ص٤٤٠ عن عدة مصادر .

قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلت : فلمَ نعطى الدنية في ديننا إذن ؟

قال : أيها الرجل انّه لرسول الله ، وليس يعصي ربه وهو ناصـــره فاستمسك بغرزه [١٠٧] فو الله انه على الحق .

فقلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به .

قال عمر (رض) فعملت لذلك أعمالا .[١٠٨]

قال : فلما فرغ رسول الله (ص) من قضية الكتاب (الـــذي كتبـــه يومئذ في الصلح) قال (ص) لأصحابه : قـــوموا فانحروا ثم احلقـــوا . قال :

فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات .... الحديث .

وأخرجه الإمام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده .[١٠٩]

---

[١٠٧] الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه ، فيكون المعنى اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره .

وفي القاموس : غرز : كسمع أطاع السلطان بعد عصيان ، وعلى هذا فلفظ غرزه هنا مصـــدر غرز فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان .

[١٠٨] لا تخفى دلالة كلمته هذه أن أعماله كانت عظيمة و بسببها لم يمتثلوا أمره إيـــاهم بـــالنحر حتى أمرهم بذلك ثلاثاً كما ستسمعه في الأصل .

انتقاد بعض الصحابة لبعضهم :

في هذه القضية انتقد بعض الصحابة عمراً . ذكر ذلــك الحلــبي في غزوة الحديبية من سيرته السيرة الحلبية ج٢ ص ٧٠٦ قال :

إن عمر (رض) جعل يرد على رسول الله (ص) الكلام ، فقال لــه أبو عبيدة بن الجراح : ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله (ص) يقول ما يقول ؟!! نعوذ بالله من الشيطان الرجيم [١١٠].

قال الحلبي : وقال رسول الله (ص) يومئذ : يا عمر إني رضــيت و تأبى .

وقال الحلبي وغيره إن عمر (رض) كان بعد ذلك يقول : مازلــت أصوم وأتصدق واصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت بــه .. إلى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضية .[١١١]

فهل أن رسول الله أمر بقتل من خالفه في الرأي ولم يطعه كائنا مــن كان أو أمر بحبسه مع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مــن العصمة الربانية في مواقفه ورأيه والآخرون كأبي بكــر وأبي عبيــدة لم يرتضيا قول عمر بن الخطاب ولاماه على موقفه .

---

[١٠٩] انظر: صحيح البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ج٢ ، ص١٢٢ بحاشــية السندي وج٣ ، ص٢٥٦ ط مطابع الشعب، مســند احمــد ج٤ ص٣٣٠ ط١ وج ١٤ ص ٣١٥ ح ١٨٨٣٠ بسند صحيح طبع دار الحديث تحقيق حمزة الزين .

[١١٠] السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٠ .

[١١١] انظر : السيرة الحلبية ج٢ ص٧٠٦ .

٥ -أخذ الفداء من الأسرى :

وأنكر بعض الصحابة يوم بدر أخذ الفداء من الأسرى واطلاق سراحهم ، وكان من رأيه ان يعمد حمزة إلى أخيه العباس فيقتله ، ويأخذ عليّ أخاه عقيلا فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتى لا يبقى منهم احد ، فأعرض رسول الله (ص) عن هذا الرأي ، تعبدا بالوحي الموافق للرحمة وللحكمة {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) }

٥. نهيه عن قتل بني هاشم :

قال السيد شرف الدين في الفصول المهمة ص ٢٧٨ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه (يوم التقى الجمعان في بدر) : قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا إكراها ، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله [١١٢] ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه أخرج كرها.[١١٣]

---

[١١٢] الكامل في التاريخ ج٢ ، ص٨٩ ، تاريخ الطبري ج٢ ، ص٢٨١ ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج٣ ص١٧٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٨١ ط بيروت ، السيرة الحلبية ج٢ ص١٦٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤، ص٢٨٢ بتحقيق محمد ابو الفضل ، كنز العمال ج١٠ حديث ٢٩٩٨٦ و٣٠٠٠١ .

[١١٣] الكامل في التاريخ ج٢ ص٨٩ ، الدرجات الرفيعة ص٨٠ ، تاريخ الطبري ج٢ ص٢٨٢ الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج٣ ص١٧٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ج٢ص٢٨١، السيرة الحلبية ج٢ ص١٦٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤ ص ١٨٣ .

نهى عن قتل بني هاشم عموماً ، وعن قتل العباس منهم بالخصـــوص حين كانوا في ساحة القتال لكونهم مكرهين على ذلك ، فالعجب ممـــن اقترح بعدها عليه بأبي هو وأمي ، ان يقتل العباس ، وعقـــيلا بيـــدي أخويهما حمزة وعلي[١١٤] فهل هذا من مظاهر رفقه بالنبي واهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم !! او من موارد تعبده بنصوصه المقدسة ؟! كلا ! بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأية على التعبد بها كما لا يخفى.

وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهي النبي صلى الله عليـــه وآله وسلم عن قتل العباس وسائر بني هاشم حتى قال (كما في تاريخي ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرهما) : أنقتل آباءنا ، وابناءنا ، وإخواننا ، ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف ، فبلغ النبي ذلك فقال لعمر (رضى الله عنه) : يا أبا حفص أما تســـمع قول أبي حذيفة ؟ أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ [١١٥] فـــانظر كيف استنجده للدفاع عن عمه وأعجب من اقتراحه بعد ذلك عليـــه قتله .

---

[١١٤] الدرجات الرفيعة ص ٨٢ ، الصحيح من سيرة النبي الاعظـــم ج٣ ص ٢٤٢ ، صـــحيح مسلم ج٥ ص١٥٧ ط دار الجيل بيروت ، كنز العمال ج١٠حديث ٢٩٩٣٩ .

[١١٥] الكامل في التاريخ ج٢ ، ص٨٩ ، تاريخ الطبري ج٢ ، ص٢٨٢ ، السيرة النبوية لابـــن هشام ج٢ ، ص٢٨١ ، السيرة الحلبية ج٢ ، ص١٦٨ ، شرح نهج البلاغة لابـــن أبي الحديـــد ج١٤ ، ص١٨٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ج٣ ، ص٢٨٥.

وقد ذكر المؤرخون كافة : أنه لما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله بأبي هو وأمي ساهرا ، فقال له الصحابة : يارسول الله مالك لا تنام ؟ فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم فقاموا اليه فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .[١١٦]

وان رحمته صلى الله عليه وآله وسلم للعالمين ، ورأفته بالمؤمنين ، وإشفاقه على عشيرته الاقربين ، وخصوصا على أبي الفضل صنو أبيه والبقية من أهليه لما هو غني عن البيان ، ومن ذا يجهل حرصه يومئذ على سلامتهم ورغبته التامة في بقائهم ليفوزوا بعد ذلك بخدمته ، وكانوا في الواقع مؤمنين لكنهم لم يتمكنوا من الهجرة إليه ، فأكرهوا على الخروج كما نص عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فاقتُرح قتلهم والحال هذه أكبر شاهد على أنهم كانوا يؤثرون إرادتهم في مثل هذا المقام على التعبد بإرادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام .

٦. الصلاة على المنافق :

وانكر عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات المنافق ابن أبي حيث جاء ابنه فقال : يا رسول الله أعطني

---

[١١٦] الكامل في التاريخ ج٢ ، ص٨٩ ، الدرجات الرفيعة ص٨٠ ، مجمع البيان ج٤ ، ص٥٥٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤ ، ص ١٨٢ ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم ج٣ ، ص٥٢٠ ، كنز العمال ج١٠ ، حديث ٣٠٠٠٦ .

قميصك أكفنه فيه وصلِّ عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : اذا فرغت منه فآذنا .

ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ قد نهى عن الصلاة على المنافقين وكانت الحكمة فيما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بالغة ، وقد قيل له صلى الله عليه وآله وسلم : لم وجهت قميصك اليه يكفن فيه ؟

فقال : إن قميصي لن تغني عنه من الله شيئا ، واني أؤمل ان يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير .

فروى انه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج .

ولكن عمر (رضى الله عنه) لم يدرك الحكمة فيما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنكر عليه فعله حتى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه ، والقضية ثابته أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخيهم .[١١٧]

٧. لمزه في الصدقات :

[١١٧] انظر :المصنف لعبد الرزاق ج ٩ ص ٤٦٩ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٨٤ عن البخاري ، ومسلم ، وأحمد ، والبيهقي ، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٧٠ ، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢ عن ابن أبي حاتم ، وفي فتح الباري ج ٨ ص ٤٥٨ : هو مرسل جيد ، وصحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١٣٢ .

وكان بعضهم يلمزه في الصدقات قال الله تعالى : {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنها إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} ٥٨/ التوبة

وأخرج البخاري [١١٨] عن عبدالله بن مسعود قال : قسم النبي (ص) قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار : والله انها لقسمة ما أريد بها وجه الله .

قلت : أما أنا لأقولن للنبي (ص) ، فأتيته وهو في أصحابه فساررته فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته .

ثم قال : قد أوذى موسى عليه السلام بأكثر من ذلك فصبر.[١١٩]

وأخرج البخاري أيضا [١٢٠] عن عبدالله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناساً في القسمة فأعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل ، واعطى عيينة مثل ذلك ، واعطى اناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة (تألفاً لقلوبهم وقلوب عشائرهم وترغيباً لهم في الاسلام) قال رجل : والله ان هذه القسمة

---

[١١٨] في باب الصبر على الأذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه .

[١١٩] صحيح البخاري كتاب الآداب باب الصبر على الاذى ج٤ ، ص٦٥ بحاشية السندي ، صحيح مسلم كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفة قلوبهم ج٣ ، ص١٠٩ ط مشكول .

[١٢٠] في أواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه ، وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى .

ماعُدِلَ فيها وما أريد بها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال : فمـــن يعـــدل اذا لم يعـــدل الله[121] ورسوله ، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) [122]

واخرج الإمام احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الاول من مسنده عن الاعمش عن شقيق سلمان بن ربيعة بسند صحيح قال : سمعت عمر يقول : قسم رسول الله قسمة فقلت : يا رسول الله لغـــير هؤلاء أحق منهم أهل الصفة قال : فقال رسول الله إنكـــم تســـألوني بالفحش ... الحديث [123] .[124]

---

[121] قال السيد شرف الدين : قوله إذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه بأبي هو وأمي كان مـــأموراً من الله تعالى بتلك القسمة التي أنكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغـــة {إن هـــو إلا وحـــي يوحى} .

[122] صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب ماكان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم ج٢ ص١٩٩ بحاشية السندي ، صحيح مسلم كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفـــة قلـــوبهم ج٣ ، ص١٠٩ ط مشكول .

[123] مسند أحمد ج ١ ص ٢٢١ ح ١٢٧ بسند صحيح بشرح أحمد محمد شـــاكر وصـــحيح مسلم كتاب الزكاة باب الكفاف والقناعة ج٣ ، ص١٠٣ ط مشـــكول وج٢ ، ص٧٣٠ ط محمد فؤاد ، الطرائف ص٤٦٥ .

١٢٤ ما تقدم من موارد أكثرها مأخوذة من الفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ، بتصرف .

٨. استشهاد حمزة رضوان الله عليه :

جاء في الصحيح من السيرة - السيد جعفر مرتضى ج ٦ ص ١٦١ :

قال بعد قتل أصحاب الالوية ، واشتداد الحرب ، قال وحشي : والله ، إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس هدا ، بسيف ما يبقي شيئا ، مثل الجمل الاورق . فاختبأ وحشي خلف شجرة ، أو حجر ، ورصد حمزة حتى مر عليه ، بعد قتله سباع بن عرفطة بن عبد العزى ، وقبله أبا نيار ، فأتاه من ورائه[١٢٥] فدفع عليه حربته ، فأصابت ثنته . . . فأقبل حمزة نحوه ، فغلب ، فوقع ، فلما مات جاءه وحشي ، وأخذ حربته ، وشغل المسلمون عن وحشي بهزيمتهم .[١٢٦]

ورجع وحشي إلى المعسكر ، ومكث فيه ، ولم يكن له بغيره حاجة . وأعطته هند ثوبها وحليها ، ووعدته عشرة دنانير بمكة . نعم ، عشرة دنانير لقاتل أسد الله وأسد رسوله ! ! .

استطراد حول وحشي : ولما عاد وحشي إلى مكة أعتق .

ويقال : انه ندم على ما فعل ، لأنه لم يعتق[١٢٧] . فلما كان فتح مكة هرب الى الطائف ، فقيل له : (ويحك ، انه والله لا يقتل أحدا من

---

[١٢٥] البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠١ .

[١٢٦] إرشاد المفيد ص ٥٠ ، والبحار ج ٢٠ ص ٨٤ .

[١٢٧] راجع : السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤ ، والطبري ج ٢ ص ١٩٥ .

الناس دخل دينه) فذهب مع الوفد الى المدينة .

وقبل أن يقع نظر النبي (ص) عليه شهد شهادة الحق . فلما رآه النبي (يقال : انه طلب منه : أن يحدثه كيف قتل حمزة ، ففعل) وقال لـــه (ص) : غيب وجهك عني ، فكان يتنكبه حيث كان ، لئلا يراه حـــتى قبضه الله .[128]

قال ابن اسحاق : فبلغني : أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان . فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت : أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة . ثم مات غريقا في الخمر .[129]

الصحيح من السيرة - السيد جعفر مرتضى ج ٦ ص١٦٣ :

كما أنه لما طلب عمر من النبي (ص) أن يقتل ابن أبي المنافق ، أجابه (ص) : دعه ، لا يتحدث الناس : أن محمدا يقتل أصحابه .[130]

ولما رجعوا من أُحد الى المدينة ، وأرجف بهم المنافقون ، وأظهـــروا الشماتة ، طلب عمر بن الخطاب من النبي صلى الله عليـــه وآلـــه : أن

---

[128] راجع في ذلك : تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦ ، والســـيرة الحلبيـــة ج ٢ ص ٢٤٩ ، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧٢ ، والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨ عن ابن اسحاق . وقـــال في آخره : وأخرجه البخاري ، عن جعفر بن عمر .

[129] السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٩ ، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦ ، واسعاف الـــراغبين ، بهامش نور الابصار ص ٨٦ .

[130] المصنف ج ٩ ص ٤٦٩ عن ابن المديني ، والحميدي عن ابن عيينة ، وأخرجـــه مســـلم . وصحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١٣٢ ، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣١ .

يأمره بقتلهم ، فرفض (ص) ذلك ، لانه مأمور أن لا يقتل من يتشهد الشهادتين .[١٣١]

وحين كان (ص) يقسم مالا ، اعترض عليه أحدهم بأنه لا يعـــدل ، فغضب (ص) حتى احمرت وجنتاه ، فقال : ويحك فمن يعـــدل إذا لم أعدل ؟ ! .

فقال أصحابه : ألا تضرب عنقه ؟ .

فقال : لا أريد أن يسمع المشركون أني أقتل أصحابي .[١٣٢]

وقد قال (ص) ذلك أيضا حين أراد عبد الله بن عبد الله بـــن أبي أن يقتل أباه فراجع .[١٣٣]

الصحيح من السيرة - السيد جعفر مرتضى ج ٦ ص١٦٣ :

٩. انه (ص) قد قال حين شج في وجهه : اللهم اهد قـــومي فانهم لا يعلمون .

ولما عاد النبي (ص) الى المدينة ، وبكى المسلمون قـــتلاهم ، ســـر بذلك المنافقون ، واليهود ، وأظهروا الشماتة ، وصاروا يظهرون أقبح

---

[١٣١] السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦ ولهذا نظائر أيضا لا مجال لتتبعها ستأتي في أواخر هذا الجزء ، أواخر فصل بعدما هبت الرياح .

[١٣٢] كنز العمال ج ١١ ص ٢٩٥ عن ابن جرير ، والبداية والنهايـــة ج ٧ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ عن أحمد ، ومسلم ، والنسائي .

[١٣٣] الدر المنثور ج ٦ ص ٢٢٥ عن عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وســـعيد بـــن منصـــور ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

القول . ومنه قولهم : ما محمد ، الا طالب ملك ، وما أصيب بمثل هذا نبي قط ، أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه . وعــرف المســلمون عدوهم الذي في دارهم ، وتحرزوا منه . وقالوا أيضا : لو كان من قتل عندنا ما قتل . وجعلوا يخذلون عن رسول الله (ص) ، وأصــحابه ، ويأمرونهم بالتفرق عنه .

واستأذنه عمر في قتل هؤلاء القائلين من المنافقين واليهود ، فقال (ص) : أليس يظهرون شهادة أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله ؟

قال عمر : بلى ، ولكن تعوذوا من السيف ، وقد بان أمرهم ، وأبدى الله تعالى أضغانهم .

فقال (ص) : نهيت عن قتل من أظهر ذلك . وأما اليهود ، فلــهم ذمة فلا أقتلهم .

وقد يكون نفاقهم هذا يتخذ اتجاها لا ينسجم مع تسليط المشــركين على المدينة ، لان ذلك ولا شك لسوف يلحق الضرر بأولئك المنافقين أنفسهم . ولسوف يلحق الضرر بالتزامــاتهم القبليــة والاجتماعيــة ، وبمصالحهم بشكل عام . كما أن تسليط المشــركين علــى بلــدهم لا ينسجم مع التقليد الاجتماعي القائم آنذاك ، ولا مع غيرتهم وحميتهم ، وعصبيتهم . نعم ، ربما تتغير هذه النظرة للمنافق ، ويتجاوز كل هــذه الموانع ، إذا رأى : أن وجوده ومصالحه في خطــر في المســتقبل . وإذا رأى أنه لا يمكنه الحفاظ على الحد الادنى من مصالحه الا بالتعامل مــع

أعداء هذه الدعوة ، فيندفع الى القيام بأي عمل يحفظ له الحد الدنى مما تطمح نفسه إليه ، ويِسعى من أجل الحصول عليه .

عمر يريد قتل المنافقين

قال السيد جعفر مرتضى : ثم اننا نجد : أن عمر يستأذن النبي (ص) في قتل هؤلاء المنافقين ، فلا يأذن له النبي (ص).

ونجد مثل ذلك من عمر في خلال حياته مع النبي (ص) الشـــيء الكثير ، وكأمثلة على ذلك نشير إلى :

١. قصته مع الحكم بن كيسان .[١٣٤]
٢. قصته مع أبي سفيان حين فتح مكة .[١٣٥]
٣. ومع عبد الله بن أبي وقد تقدم .[١٣٦]
٤. ومع ذي الخويصرة .[١٣٧]
٥. ومع حاطب بن أبي بلتعة كما تقدم .

---

[١٣٤] انظر : حياة الصحابة ج ١ ص ٤١ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣٧ .

[١٣٥] انظر: حياة الصحابة ج ١ ص ١٥٤ ، ومجمع الزوائـــد ج ٦ ص ١٦٦ عـــن الطـــبراني ورجاله رجال الصحيح .

[١٣٦] انظر: حياة الصحابة ج ١ ص ١٥٤ ، ومجمع الزوائـــد ج ٦ ص ١٦٦ عـــن الطـــبراني ورجاله رجال الصحيح .

[١٣٧] انظر : حياة الصحابة ج ٢ ص ٦٠١ ، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٢ عن الصحيحين ، ومناقب الخوارزمي ص ١٨٢ .

٦. ومع ذي الثدية وقيل باتحاده مع ذي الخويصرة ، وقيل : لا .[١٣٨]

٧. ومع شيبة بن عثمان .[١٣٩]

٨. ومع الإعرابي الذي من بني سلم .[١٤٠]

٩. ونجده يطلب في الحديبية أن يمكنه النبي (ص) من نزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، حتى يدلع لسانه .

وفي كل ذلك يمنعه النبي (ص) ويردعه ، ويخبره : بأنه لا يرغب في ذلك . وبالنسبة للحادثة الاخيرة مع سهيل بن عمرو قال له : فعسى أن يقوم مقاما تحمده . فكان مقامه هو ما ستأتي الاشارة إليه .[١٤١]

فقد كان له موقف جيد في مكة حين وفاة النبي (ص) ، حيث منع أهل مكة من الارتداد وسكنهم ، وعظم الاسلام .

---

[١٣٨] انظر : المصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ١٥٥ ، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٦ عن أبي يعلى . . وقد روي هذا الحديث من وجوه كما في مجمع الزوائد .

[١٣٩] انظر : الرياض النضرة المجلد الاول ج ٢ ص ٣٥٣ .

[١٤٠] انظر : المعجم الصغير ج ٢ ص ٦٤ .

[١٤١] الاصابة ج ٢ ص ٩٣ ، والاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٢ ص ١٠٩ / ١١٠ ، وتفصيل القضية فيه . الاستيعاب (مطبوع بهامش الاصابة) ج ٢ ص ١١٠ ، وراجع سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٩٤

وقال السيد جعفر مرتضى : ولا ندري كيف خفي على عمر خطورة تصرف كهذا ؟ ! وأن ذلك معناه : نقض الصلح ، وإعطاء نظرة سلبية عن النبي (ص) وعن المسلمين ، وفسح المجال للدعاية المغرضة ضدهم ، وأنهم لا عهد لهم ولا ذمار . فحتى مع الرسل والمفاوضين يفعلون ذلك الأمر المهين والمشين ، الأمر الذي يرفضه حتى العرف الجاهلي ، فضلا عن الخلق السامي والنبيل .

كما أننا لا ندري - لو أنه فعل ذلك بسهيل بن عمرو - ماذا سوف يكون شعور ابنه عبد الله بن سهيل ، الذي هرب من أبيه إلى النبي (ص) في بدر ، وكان يكتم أباه إسلامه ؟!.

ثم ماذا سوف يكون شعور ابنه الآخر أبي جندل بن سهيل ، الذي جاء يرسف في الحديد الى رسول الله (ص) في الحديبية ؟ ! ، أي في نفس الوقت الذي يريد فيه عمر : أن يفعل ما يفعل بأبيه سهيل . وقد كان سهيل يضرب أبا جندل بغصن شوك . ولكنه مع ذلك قد ضن بهذا الاب أن يصيبه سوء ، كما ذكره مصعب الزبيري .[١٤٢]

مبررات عدم الإنتقام والقتل

قال السيد جعفر العاملي : نعم ، وهذه هي الخطة الحكيمة والصحيحة ، في عدم قتله لهم لان قتله لاصحابه ، معناه :

---

[١٤٢] نسب قريش لمصعب ص ٣١٩ / ٣٢٠

١. أن لا يرغب أحد بعد في الدخول في الاسلام لانه لا يــرى فيه عصمة لنفسه ، ولا يطمئن لمستقبله ووجوده . كما أن من دخل فيه يجد نفسه مضطرا للتخلي عنه ، واختيار طريق الردة ، فيما لو صدر منهم أي عمل سيء أحيانا له مساس بالحالة العامة ، أو بشخص النبي (ص) دون مــا يقــع في نطاق التعدي على حقوق الاخرين وحرماتهم .
٢. أن يفسح المجال أمام أعداء الاسلام للقيام بحملة دعائية ضده ، ومنع الناس من التعرف عليه والاهتداء بهديــه ، حيــث يطعن أعداؤه عليه بأنــه (ص) كســائر الملــوك الــذين يستفيدون من الناس حتى يحققوا أهدافهم ، ثم يقتلون مــن ناصرهم على الظن والتهمة .
٣. ان ذلك ربما يدفع ضعفاء النفوس ، ممن أظهروا الاسلام الى التخلي عنه ، ابتعادا بأنفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم .
٤. أضف إلى ما تقدم : أن ذلك منه (ص) لربما يتخذ من قبل حكام الجور والانحراف ذريعة لقتل الابرياء ، والتخلص من خصومهم السياسيين ، ثم يحتجون بأن رسول الله (ص) قد فعل ذلك .

٥. كما أنه لا يبقى مجال للتعصبات القبلية ، التي ربما تؤدي الى خروج قبيلة بكاملها من الاسلام . ولعله لاجل ذلك نجد أبا سفيان لا يثأر لابي هريرة الدوسي ، وكان في جواره ، ومنع ولده من ذلك أيضا ، وقال له : (أتريد أن تفرق بين قريش ، فيقوى علينا محمد ؟ لعمري ما بدوس عجز عن طلب ثأرهم)[١٤٣]

٦. هذا كله عدا عن أنه (ص) لو فعل ذلك ، لخسر أبناء المقتولين ، واخوانهم ، وكثيرا من عشائرهم ، وأصبحت علاقاتهم به لا تقوم على أساس الحب ، بل على أساس الخوف من سلطانه ، الامر الذي سوف يدفع الكثيرين منهم للبحث عن منافذ للفرار ، والتخلص من هيمنة رجل قتل أحباءهم بالامس ، ولربما تصل النوبة إليهم اليوم أو غدا .

الثالث : ان موقف الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من وحشي ، وقوله له : غيب وجهك عني ، ان دل علي شئ ، فانما يدل على أن وحشيا لم يكن مسلما حقا ، إذ لا يمكن أن يقول النبي (ص) ذلك لمسلم مؤمن ، بسبب ماكان قد ارتكبه حين كفره ، فان الاسلام يجب ما قبله .

---

[١٤٣] نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٣٢٣ .

وعليه فان التشهد بالشهادتين ، وان حقن دم وحشي ، الا أنه انما أسلم حينما رأى البأس ، بعد أن أهدر النبي صلى الله عليه وآله دمه . فاسلامه وايمانه لا ينفعه ، لانه في الحقيقة لم يكن مستندا الى الاختيار ، ولا الى القناعة الوجدانية والعقلية بهذا الدين .

وأعتقد : أنه لولا شبهة : أن النبي (ص) انما قتل مسلما ، لكان للنبي (ص) أن يقتله . وان أعماله الشنيعة والقبيحة ، وسيرته الخبيثة بعد ذلك لتدل دلالة واضحة على أنه لم يسلم ، وانما استسلم ، تماما كما كان الحال بالنسبة لطلقاء مكة ، أبي سفيان وأصحابه .

أقول : من هذه النماذج المتقدمة وعشرات بل مئات من أمثالها نخلص إلى أن الإسلام هو دين العدل والمحبة والمودة والرحمة والحرية والمساوات والأمان والنظام الشامل لكل مناحي الحياة وكل صفات الخير مجتمعة فيه .

تعايش أمير المؤمنين مع مخالفيه

روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال :(يا عمار إذا رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره فاسلك مع علي ودع الناس ، فإنه لن يدلك على ردى ، ولن يخرجك من هدى) [١٤٤]

---

[١٤٤] ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر ج٣ ص ١٧٠ والمناقب للخوارزمي

لا يحتاج إلى مزيد من الشرح لهذا الحديث فـإن الأحاديـث الـتي تعرضت لشرح هذا المفهوم وأن علي بن أبي طالب عليه السلام ميزان بين الحق والباطل وأنه قسيم الجنة والنار وأنه الصراط المستقيم كـثيرة وكثيرة جداً ومن هذا الحديث الذي يحدد أن علي بن أبي طالب فيصل والرسول يخبر عمار باتباعه والتمسك به وأن الناس مهما ذهبوا يمينا أو شمالا أو سلكوا أي واد فيجب عليه أن يسلك الوادي الذي سلكه علي عليه السلام لأنه لا يدخل أحداً في ردى ولا يخرج أحداً من هدى .

المصلحة الإسلامية فوق كل شيء

الإمام علي عليه السلام أوقف نفسه لله منذ نعومة أظفاره فكان كله لله حياته ومما ته وأكله وشربه ويقضته ونومه وجعل المصلحة الإسلامية فوق كل شيء فضحى بمصالحه الشخصية وعادى الأقـربين وقـرب الأبعدين لذلك بل قدم حياته ونفسه الشريفة رخيصة في سبيل الله

إن من الجوانب المهمة التي يجب أن تدرس في حياة الأئمة عامـة وفي حياة أمير المؤمنين عليه السلام خاصة جانب التسامح مع الطرف الآخر المخالف وتحمل رأيه أو السماع له مهما كان رأيه مخالفاً والتعامل معـه بسماحة الإسلام ونبله ورحمته ومحبته فإن تغير وتبدل عن رأيه أو عمله وإلا هو يتحمل تبعات ذلك ، لا أن يلغي الطرف الآخر ويصادر رأيـه وحريته ولا يعترف له بأي شيء بل والكثير من الناس يرى رأيـه هـو

المطابق للواقع الذي نزل به الوحي من السماء وغيره مخطئ ولو أقـام ألف دليل ودليل والأعظم من كل ذلك ينسب هذه الأفكـار الباليـة المتحجرة التعسفية إلى الإسلام أو إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام بل البعض يعتبرها الدين الخالص الذي لا يقبل الله الأعمال إلا به .

في الوقت الراهن أصبحت دماء المسلمين تسيل في الشوارع كالأنهر الجارية وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ وتدمر المقدسات علـى أيـد جماعات تدعي أن مفاتيح الجنة بيدها ولا تدخل فيها إلا من هو علـى شاكلتها ويقول برأيها والذي يخالفها ليس له حق الحياة ولا يستحق أن يستنشق نسيم الهواء وليس له إلا القتل في الدنيا والنار في الآخـرة إن الخوارج الذين تحدث عنهم التاريخ والأحاديث ومثلوا هذه الأفكـار المتحجرة قد تركوا بصماتهم على الأمة وخلفوا خوارج اليوم وهـؤلاء أشد تعنتاً وأكثر دموية من أولئك .

في الوقت الراهن الذي يسود فيه إلغاء الطرف الآخر وتنعدم فيـه الحريات ويسيطر فيه القوة والظلم والتجبر والعدوان نحن بأمس الحاجة إلى ومضات تضيء لنا الدرب من أشخاص حملوا الإسـلام في قلـوبهم ومثلوه بين جوانحهم حتى أصبح هو هم ، وهم هو ، أولئك مصـابيح الدجى والعروة الوثقى والحجة على أهل الآخرة والأولى وسفن النجاة الذي لا يغرق من تمسك بهم .

وإذا كان العالم بأسره مدعو إلى الإقتداء بهم فإن من والاهم وأحبهم لهو أولى من غيره بذلك وفيما يلي نعرض بعض النماذج لمنـــهج أمـــير المؤمنين عليه السلام مع مخالفيه في الرأي والعقيدة والأفكار والأخـــلاق والسياسة والإدارة حتى نتبين وجهة نظرة الإسلام إلى الطرف الآخر .

نظر الإمام للحرب

١. عدم البدء بقتال عدوه :

إن الإمام عليه السلام ينظر إلى الحرب نظرة سلبية ويرى أنها آخـــر الحلول فيما إذا تفاقم الأمر ولابد منها ، وفي كل حروبه التي خاضـــها مع عدوه لم يبدأهم بقتال على الإطـــلاق كمـــا في الجمـــل وصـــفين والنهروان وكما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله فلـــم يبـــدأ أحداً بقتال .

٢. إلقاء الحجج عليهم :

في كل حروبه لا يباشر الحرب حتى يلقي الحجة علـــيهم بـــوعظهم وإرشادهم وإفهامهم عواقب الأمور وها هي خطبه وخطب أصحابه في يوم الجمل وصفين والنهروان شاهد حي على ذلك

٣. أسفه على أعداءه ومصيرهم الأسود .

البكاء على مصير أعدائه وكذلك فعل بقية الأئمة عليهم السلام .

رأي علي عليه السلام في الخلافة ومن خالفه

قال عليه السلام : (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَ فَضْلِهِ وَ زُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ) [١٤٥]

يمكن أن يفهم من هذا النص :

١. أن الإمام عليه السلام كان يطالب بالخلافة وأنها حق من حقوقها التي لا يمكن التغاضي عنها وأنها بمكان من الوضوح حيث أن المخاطبين من الناس يعلمون بها ولم تعد سراً من الأسرار .

٢. أن الإمام يضع نصب عينيه المصلحة الإسلامية فما دامت تقتضي أن يسالم حتى من غصب حقه ويزيح الجور عن الإسلام بكل ثمن حتى وإن وقع الجور عليه خاصة ، وهذا من باب تحمل المسئولية الكبرى .

٣. أن هذا الكلام فيه رد على من ادعى أن الإمام سالم وصالح ورضي بفعل من أخذ حقه بل ربما تكون مهادنته دليل عن تنازله عن الخلافة وكل ذلك ليس له محل من الصحة فهو وإن سالم وسامح وقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة إلا أن حقه لا زال

---

[١٤٥] نهج البلاغة ص : ١٠٣ .

يطالب به متى ما سنحت الفرصة وهذا يدل على غاية الدقة وبعـــد النظر والحياطة على الدين وأهله .

٤. أن كلام الإمام لا يتلائم مع من يدعي أن الإمام وقف الموقف المباين مع مخالفيه في كل شيء وترك الحبل على الغارب وأن همه الشاغل هو الخلافة إن مثل هذا الكلام غير مسئول .

٥. يبدو أن الإمام تعامل مع مخالفيه بغاية النبل والرحمـــة والأخـــلاق العالية وكان يفرق بين القضية العامة والمصلحة الإسلامية فهذه لا تأخذه في الله لومة لائم وبين المصلحة الخاصة والشخصـــية فلـــم يلتفت إليها ولم ينقم لنفسه قط .

الخطر على الإسلام

قال علي أمير المؤمنين عليه السلام : (أما بعد فإنه لما قبض الله نبيــه (ص) قلنا نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس لا ينازعنـــا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع ، إذ انبرى لنا قومنـــا فغصـــبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا و صرنا سوقة يطمع فينا الضعيف و يتعزز علينا الذليل فبكت الأعين منا لـــذلك و خشـــنت الصـــدور و جزعت النفوس .

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين و أن يعود الكفـــر و يبـــور الدين لكنا على غير ما كنا هم عليه فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيرا ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين مني لأمركم و

فراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم و بايعني هذان الرجلان في أول من بايع تعلمون ذلك و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصـــرة بعائشـــة ليفرقا جماعتكم و يلقيا بأسكم بينكم ...[١٤٦]

وواضح أن السبب في عدم قيامه ومطالبته بالخلافة بالقوة هو مخافـــة الفرقة بين المسلمين والارتداد عن الدين وإلا هو على أهبة الاســـتعداد فصبر على ما صبر عليه لأجل الحفاظ على وحدة المسلمين ولم شعثهم .

ضرر الفرقة في نظر علي عليه السلام

والشاهد على خطورة الفرقة بين المسلمين وأنها تؤدي إلى ضـــعفهم واستيلاء عدوهم عليهم ما جاء في شرح نهج البلاغة[١٤٧] قال :

روى الكلبي قال : لما أراد علي عليه السلام المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله و صلى على رسوله صلى الله عليه وآله : (إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة .

فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفك دمائهم و الناس حديثو عهد بالإسلام و الدين يمخض مخـــض الوطـــب يفسده أدنى وهن و يعكسه أقل خلف فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم

---

[١٤٦] شرح نهج البلاغة ج : ١ ص : ٣٠٧ حول الخطر على الإسلام جراء الاخـــتلاف بـــين المسلمين وتشتت كلمتهم وتكفير بعضهم البعض أو تفسيقه بحجة الخروج عن الدين .

[١٤٧] ج : ١ ص : ٣٠٩ .

اجتهادا ثم انتقلوا إلى دار الجزاء و الله ولي تمحيص سيئاهم و العفو عن هفواهم فما بال طلحة و الزبير و ليسا من هذا الأمر بسبيل لم يصبرا علي حولا و لا شهرا حتى وثبا و مرقا و نازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أما قد فطمت و يحييان بدعة قد أميتت أدم عثمان زعما ؟ و الله ما التبعة إلا عندهم و فيهم و إن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم و أنا راض بحجة الله عليهم و عمله فيهم فإن فاءا و أنابا فحظهما أحرزا و أنفسهما غنما و أعظم بها غنيمة و إن أبيا أعطيتهما حد السيف و كفى به ناصرا لحق و شافيا لباطل) ثم نزل .

لقد ضرب الإمام عليه السلام أروع الأمثلة في الاهتمام بالطرف الآخر ورأيه والعفو عن المسيء ومجازات المحسن على إحسانه وإظهار مكارم الأخلاق ومعاليها والتتره مساوئ الأخلاق .

يوم الخندق :

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام :

"برز الإيمان كلّه إلي الشرك كلّه" [١٤٨] .

وكان قتل عمرو بن عبد ودّ مهمّاً وحاسماً ومصيريّاً إلى درجة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (لَمبارزةُ عليّ بن أبي طالب

---

[١٤٨] شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٦١ ؛ كتر الفوائد : ١ / ٢٩٧ ، الطرائف : ٣٥ ، إرشاد القلوب : ٢٤٤ ، عوالي اللآلي : ٤ / ٨٨ / ١١٣ وفيه "الكفر" بدل "الشرك" .

لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أُمّتي إلي يوم القيامــة) [149].

وفي رواية :

"لَضربةُ عليّ لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين" [150].

ولما برز الإمام علي عليه السلام لعمرو وانتصر عليه حتى جدله على الأرض صريعا وأراد أن يحز رأسه بصق عمرو في وجه الإمــام فتركــه الإمام قليلا حتى هدأ غيظه فقتله ولما سأل عن ذلك قال أردت أن أقتله لله .

فقد جاء في المناقب لابن شهر آشوب : لّما أدرك [عليّ عليه السلام] عمرو بن عبد ودّ لم يضربه ، فوقعوا في عليّ عليه السلام ، فردّ عنه حذيفة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : مَه يا حذيفــة ؛ فــإنّ عليّــاً سيذكر سبب وقفته . ثمّ إنّه ضربه ، فلمّا جاء سأله النبيّ صلى الله عليه

[149] المستدرك علي الصحيحين : ٣ / ٣٤ / ٤٣٢٧ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ١٩ / ٦٩٧٨ ، شواهد التنزيل : ٦٣٦/١٤/٢ ، المناقب للخوارزمي : ١١٢/١٠٧ ، الفردوس : ٥٤٠٦/٤٥٥/٣ ؛ إرشاد القلوب : ٢٤٥ .

[150] عوالي اللآلي : ٤ / ٨٦ / ١٠٢ وراجع الطرائف : ٥١٩ والمستدرك علي الصحيحين : ٤٣٢٨/٣٤/٣ .

وآله عن ذلك ، فقال : قد كان شتم أُمّي ، وتفل في وجهي ، فخشيت أن أضربه لحظّ نفسي ، فتركته حتي سكن ما بي ، ثمّ قتلته في الله.[١٥١]

التسامي عن العقوبة

فقد روى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : (كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس فيعلمهم الفقه و القرآن .

و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك فقام يوما فمر برجل فرماه بكلمة هجر ، قال : لم يسمه محمد بن علي (ع) فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر و أمر فنودي الصلاة جامعة فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه ثم قال : (أيها الناس إنه ليس شيء أحب إلى الله و لا أعم نفعا من حلم إمام و فقهه و لا شيء أبغض إلى الله و لا أعم ضررا من جهل إمام و خرقه ألا و إنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ ألا و إنه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلا عزا ألا و إن الذل في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزز في معصيته .

ثم قال : أين المتكلم آنفا . فلم يستطع الإنكار فقال : ها أنا ذا يا أمير المؤمنين . فقال : أما إني لو أشاء لقلت !! فقال : إن تعف و تصفح

---

[١٥١] المناقب لابن شهر آشوب : ٢ / ١١٥ ، الدرجات الرفيعة : ٢٨٧ ؛ كيمياي سعادت : ١ / ٥٧١ .

فأنت أهل ذلك . قال : قد عفوت و صفحت) فقيل لمحمد بن علي (ع) : ما أراد أن يقول ؟ قال : أراد أن ينسبه.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة [١٥٢] في تعداد أعداء أمير المؤمنين عليه السلام الذين عفا عنهم ولم يعقبهم قال :

و أما الحلم و الصفح فكان أحلم الناس عن ذنب و أصفحهم عن مسيء و قد ظهر صحة ما قلناه :

١. يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم و كان أعدى الناس له و أشدهم بغضا فصفح عنه .
٢. و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب و كان علي (ع) يقول : ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا فصفح عنه و قال : اذهب فلا أرينك لم يزده على ذلك.
٣. و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكة و كان له عدوا فأعرض عنه و لم يقل له شيئا.
٤. و قد علمتم ما كان من عائشة في أمره فلما ظفر بها أكرمها و بعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم و قلدهن بالسيوف فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن

---

[١٥٢] ج : ١ ص : ٢٣ .

يذكر به و تأففت و قالت : هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن و قلن لها إنما نحن نسوة .

٥. و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف و شتموه و لعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم و نادى مناديه في أقطار العسكر ألا لا يتبع مول و لا يجهز على جريح و لا يقتل مستأسر و من ألقى سلاحه فهو آمن و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن و لم يأخذ أثقالهم و لا سبى ذراريهم و لا غنم شيئا من أموالهم و لو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل و لكنه أبى إلا الصفح و العفو و تقيل سنة رسول الله (ص) يوم فتح مكة فإنه عفا و الأحقاد لم تبرد و الإساءة لم تنس .

٦. الماء يوم صفين :

و لما ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات و قالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا سألهم علي (ع) و أصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء فقالوا لا و الله و لا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان فلما رأى (ع) أنه الموت لا محالة تقدم بأصحابه و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه

الرءوس و الأيدي و ملكوا عليهم الماء و صار أصحاب معاويـــة في الفلاة لا ماء لهم .

فقال له أصحابه و شيعته امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك و لا تسقهم منه قطرة و اقتلهم بسيوف العطش و خذهم قبضـــا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب .

فقال : (لا و الله لا أكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة) ففي حد السيف ما يغني عن ذلك فهذه إن نسبتها إلى الحلم و الصفح فناهيك بها جمالا و حسنا و إن نسبتها إلى الدين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام .[١٥٣]

العفو يوم البصرة :

تعددت النصوص الحديثية والتاريخية أن أمير المؤمنين عليه السلام قد سار في أهل البصرة بعد الانتصار عليهم مثل ما عمله رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة عند ما فتحها .

عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) قَالَ : سَأَلَ رَجُـــلٌ أَبِـــي صلى الله عليه وآله عَنْ حُرُوبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) وَ كَانَ السَّائِلُ مِـــنْ مُحِبِّينَا فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (ع) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : (إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى التَّنْزِيلِ . فَسُئِلَ النَّبِـــيُّ (ص) مَنْ هُوَ فَقَالَ : خَاصِفُ النَّعْلِ - يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) - فَقَالَ عَمَّارُ

---

[١٥٣] شرح نهج البلاغة ج : ١ ص : ٢٤

بْنُ يَاسِرٍ : قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ثَلَاثاً وَ هَذِهِ الرَّابِعَةُ وَ اللَّهِ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يَبْلُغُوا بِنَا السَّعَفَاتِ مِنْ هَجَرَ لَعَلِمْنَا أَنَّا عَلَى الْحَقِّ وَ أَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ .

وَ كَانَتِ السِّيرَةُ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْبِ لَهُمْ ذُرِّيَّةً وَ قَالَ : (مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَ مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ) وَ كَذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) يَوْمَ الْبَصْرَةِ نَادَى فِيهِمْ : (لَا تَسْبُوا لَهُمْ ذُرِّيَّةً وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَتْبَعُوا مُدْبِراً وَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ)[١٥٤]

العفو العام :

قال في خطبة له عليه السلام :

(فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا لَقِينَا الْقَوْمَ النَّاكِثِينَ .. إِلَى أَنْ قَالَ (ع) : فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَمَرْتُ أَنْ لَا يُتْبَعَ مُدْبِرٌ وَ لَا يُجَازَ عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا يُكْشَفَ عَوْرَةٌ وَ لَا يُهْتَكَ سِتْرٌ وَ لَا يُدْخَلَ دَارٌ إِلَّا بِإِذْنٍ وَ آمَنْتُ النَّاسَ الْخَبَرَ) [١٥٥]

وعَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبَّةَ الْعُرَنِيِّ قَالَ فِي حَدِيثٍ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ وَ بَرَزَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَى أَنْ قَالَ : فَوَلَّى النَّاسُ مُنْهَزِمِينَ

---

[١٥٤] الكافي ج : ٥ ص : ١٢

[١٥٥] مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٣

فَنَادَى مُنَادِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) : لَا تُجِيزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَتْبَعُوا مُدْبِراً وَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَ مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عَطَاءٍ مَوْلَى مُزَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ (ع) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (ع) ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ : كَانَ اللِّوَاءُ مَعِي يَوْمَ الْجَمَلِ ... إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى لَا يُدَفَّفْ عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا يُتْبَعُ مُدْبِرٌ وَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ .

عدم قتل الأسير :

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع) : لَمَّا الْتَقَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) وَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ نَشَرَ الرَّايَةَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَتَزَلْزَلَتْ أَقْدَامُهُمْ فَمَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ حَتَّى قَالُوا : آمِنَّا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : (لَا تَقْتُلُوا الْأُسَرَاءَ وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَتْبَعُوا مُوَلِّياً وَ مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ) [١٥٦]

وعَنْ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ عَلِيّاً (ع) قَالَ : كَانَ لِي أَنْ أَقْتُلَ الْمُوَلِّيَ وَ أُجْهِزَ عَلَى الْجَرِيحِ وَ لَكِنْ تَرَكْتُ ذَلِكَ لِلْعَاقِبَةِ مِنْ أَصْحَابِي إِنْ خَرَجُوا لَمْ يُقْتَلُوا وَ الْقَائِمُ (ع) [لَهُ] أَنْ يَقْتُلَ الْمَوَلِّيَ وَ يُجْهِزَ عَلَى الْجَرِيحِ [١٥٧]

وسعهم أمانه :

---

[١٥٦] مستدركالوسائل ج : ١١ ص : ٥٤

[١٥٧] جاء في مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٤

وعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ : لَمَّا هَزَمْنَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) حَتَّى أَسْنَدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْبَصْرَةِ ثُمَّ ذَكَرَ دُخُولَهُ (ع) فِي دَارٍ كَانَتْ فِيهَا عَائِشَةُ وَ جَمَاعَةٌ مَجْرُوحُونَ إِلَى أَنْ قَالَ الرَّاوِي لِلْأَصْبَغِ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْقَرْحَةِ هَلَّا مِلْتُمْ عَلَيْهِمْ بِحَدِّ السُّيُوفِ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَسِعَهُمْ أَمَانُهُ إِنَّا لَمَّا هَزَمْنَا الْقَوْمَ نَادَى مُنَادِيَهُ لَا يُدَفَّفْ عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا يُتْبَعْ مُدْبِرٌ وَ مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ سُنَّةٌ يُسْتَنُّ بِهَا بَعْدَ يَوْمِكُمْ هَذَا الْخَبَرَ .[١٥٨]

العفو عن الْأَصْبَغِ بْنِ ضِرَارٍ :

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ بِصِفِّينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْأَصْبَغُ بْنُ ضِرَارٍ وَ كَانَ يَكُونُ طَلِيعَةً وَمَسْلَحَةً فَنَدَبَ لَهُ عَلِيٌّ عليه السلام الْأَشْتَرَ فَأَخَذَهُ أَسِيراً مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَاتِلَ وَ كَانَ عَلِيٌّ عليه السلام يَنْهَى عَنْ قَتْلِ الْأَسِيرِ الْكَافِّ فَجَاءَ بِهِ لَيْلًا وَ شَدَّ وَثَاقَهُ وَ أَلْقَاهُ مَعَ أَضْيَافِهِ يَنْتَظِرُ بِهِ الصَّبَاحَ وَ كَانَ الْأَصْبَغُ شَاعِراً مُفَوَّهاً (فَأَيْقَنَ بِالْقَتْلِ) وَ نَامَ أَصْحَابُهُ فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَ أَسْمَعَ الْأَشْتَرَ أَبْيَاتاً يَذْكُرُ فِيهَا حَالَهُ وَ يَسْتَعْطِفُهُ فَغَدَا بِهِ الْأَشْتَرُ عَلَى عَلِيٍّ (ع) فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْمَسْلَحَةِ لَقِيتُهُ بِالْأَمْسِ وَ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ قَتْلَهُ الْحَقُّ قَتَلْتُهُ وَ قَدْ بَاتَ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ وَ حَرَّكَنَا فَإِنْ كَانَ فِيهِ الْقَتْلُ فَاقْتُلْهُ وَ إِنْ غَضِبْنَا فِيهِ وَ إِنْ كُنْتَ فِيهِ بِالْخِيَارِ فَهَبْهُ لَنَا .

---

[١٥٨] جاء في مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٤

قَالَ : (هُوَ لَكَ يَا مَالِكُ فَإِذَا أَصَبْتَ أَسِيرَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَلَا تَقْتُلْهُ فَإِنَّ أَسِيرَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا يُفَادَى وَ لَا يُقْتَلُ) فَرَجَعَ بِهِ الْأَشْتَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ قَالَ : لَكَ مَا أَخَذْنَا مِنْكَ وَ لَيْسَ لَكَ عِنْدَنَا غَيْرُهُ .

العفو عن أهل البغي :

روى الْقَاضِي نُعْمَانُ الْمِصْرِيُّ صَاحِبُ الدَّعَائِمِ فِي شَرْحِ الْأَخْبَارِ، عَنْ سَلَّامٍ قَالَ شَهِدْتُ يَوْمَ الْجَمَلِ ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَ انْهَزَمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ نَادَى مُنَادِي عَلِيٍّ (ع) لَا تَتْبَعُوا مُدْبِراً وَ لَا مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ وَلَّوْا وَ لَيْسَ لَهُمْ فِئَةٌ يَلْجَئُونَ إِلَيْهَا جَرَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ .[١٥٩]

عدم التعرض للنساء والذراري :

دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، رُوِّينَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) أَنَّهُ لَمَّا هَزَمَ أَهْلَ الْجَمَلِ جَمَعَ كُلَّ مَا أَصَابَهُ فِي عَسْكَرِهِمْ مِمَّا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْهِ فَخَمَّسَهُ وَ قَسَمَ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ مَضَى فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْبَصْرَةِ قَالَ أَصْحَابُهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْسِمْ بَيْنَنَا ذَرَارِيَّهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ قَالَ : (لَيْسَ لَكُمْ ذَلِكَ . قَالُوا : وَ كَيْفَ أَحْلَلْتَ لَنَا دِمَاءَهُمْ وَ لَمْ تُحْلِلْ لَنَا سَبْيَ ذَرَارِيِّهِمْ . قَالَ : حَارَبَنَا الرِّجَالُ فَقَتَلْنَاهُمْ فَأَمَّا النِّسَاءُ [وَ الذَّرَارِيُّ] فَلَا سَبِيلَ لَنَا عَلَيْهِنَّ لِأَنَّهُنَّ مُسْلِمَاتٌ وَ فِي دَارِ هِجْرَةٍ فَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ سَبِيلٍ وَ مَا أَجْلَبُوا بِهِ وَ اسْتَعَانُوا بِهِ عَلَى حَرْبِكُمْ وَ ضَمَّهُ عَسْكَرُهُمْ وَ

---

[١٥٩] وفي مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٦

حَوَاهُ فَهُوَ لَكُمْ وَ مَا كَانَ فِي دُورِهِمْ فَهُوَ مِيرَاثٌ عَلَى فَرَائِضِ اللَّـــهِ [لِذَرَارِيِّهِمْ] وَ عَلَى نِسَائِهِمُ الْعِدَّةُ وَ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ وَ لَا عَلَى الذَّرَارِيِّ مِنْ سَبِيلٍ . فَرَاجَعُوهُ فِي ذَلِكَ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : هَاتُوا سِـــهَامَكُمْ فَاضْرِبُوا عَلَى عَائِشَةَ أَيُّكُمْ يَأْخُذُهَا وَ هِيَ رَأْسُ الْأَمْرِ فَقَالُوا : نَسْـــتَغْفِرُ اللَّهَ قَالَ : فَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) فَسَكَتُوا وَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا كَانَ فِي دُورِهِمْ وَ [لَا] لِنِسَائِهِمْ وَ لَا لِذَرَارِيِّهِمْ .[١٦٠]

العفو عن أهل البصرة مثل العفو عن أهل مكة :

عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ سَأَلَهُ عَمَّارٌ حِينَ دَخَلَ الْبَصْرَةَ فَقَالَ : يَـــا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ تَسِيرُ فِي هَؤُلَاءِ قَالَ : (بِالْمَنِّ وَ الْعَفْوِ كَمَا سَارَ النَّبِيُّ (ص) فِي أَهْلِ مَكَّةَ)[١٦١]

وَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع أَنَّهُ قَالَ سَارَ عَلِيٌّ ع بِالْمَنِّ وَ الْعَفْوِ فِي عَدُوِّهِ مِنْ أَجْلِ شِيعَتِهِ)لِأَنَّهُ(كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ بَعْدِهِ فَأَحَبَّ أَنْ يَقْتَدِيَ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ بِهِ فَيَسِيرَ فِي شِيعَتِهِ بِسِيرَتِهِ وَ لَا يُجَاوِزَ فِعْلَهُ فَيَرَى النَّاسُ أَنَّهُ تَعَدَّى وَ ظَلَمَ

العفو عن موسى بن طلحة

وَ فِي شَرْحِ الْأَخْبَارِ ، لِصَاحِبِ الدَّعَائِمِ عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَ كَانَ فِيمَنْ أُسِرَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ حُبِسَ مَعَ مَنْ حُبِسَ مِنَ الْأُسَـــارَى

---

[١٦٠] جاء في مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٦

[١٦١] مستدرك الوسائل ج : ١١ ص : ٥٧

بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ : كُنْتُ فِي سِجْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بِالْبَصْرَةِ حَتَّى سَمِعْتُ الْمُنَادِيَ يُنَادِي أَيْنَ مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ فَاسْـــتَرْجَعْتُ وَ اسْتَرْجَعَ أَهْلُ السِّجْنِ وَ قَالُوا يَقْتُلُكَ فَأَخْرَجَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لِي : (يَا مُوسَى قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قَالَ : قُلْ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ قُلْتُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ : لِمَنْ كَانَ مَعِي مِنْ رُسُلِهِ خَلُّوا عَنْهُ وَ قَالَ لِي اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ وَ مَا وَجَدْتَ لَكَ فِي عَسْكَرِنَا مِنْ سِلَاحٍ أَوْ كُرَاعٍ فَخُذْهُ وَ اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ أَمْرِكَ وَ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ) فَشَكَرْتُ وَ انْصَرَفْتُ . وَ كَـــانَ عَلِيٌّ (ع) قَدْ أَغْنَمَ أَصْحَابَهُ مَا أَجْلَبَ بِهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى قِتَالِهِ أَجْلَبُوا بِهِ يَعْنِي أَتَوْا بِهِ فِي عَسْكَرِهِمْ وَ لَمْ يَعْرِضْ لِشَيْءٍ غَيْرِ ذَلِـــكَ لِـــوَرَثَتِهِمْ وَ خَمَّسَ مَا أَغْنَمَهُ مِمَّا أَجْلَبُوا بِهِ عَلَيْهِ فَجَرَتْ أَيْضاً بِذَلِكَ السُّنَّةُ .

العفو العام عن أهل البصرة :

وَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : لَمَّا انْتَهَى عَلِيٌّ (ع) إِلَى الْبَصْرَةِ خَرَجَ أَهْلُهَا .. إِلَى أَنْ قَالَ : فَقَاتَلُوهُمْ وَ ظَهَـــرُوا عَلَيْهِمْ وَ وَلَّوْا مُنْهَزِمِينَ .

فَأَمَرَ عَلِيٌّ (ع) مُنَادِياً يُنَادِي لَا تَطْعَنُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ وَ لَا تَطْلُبُوا مُدْبِراً وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ مَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَـــهُ فَهُوَ آمِنٌ وَ مَا كَانَ بِالْعَسْكَرِ فَهُوَ لَكُمْ مَغْنَمٌ وَ مَا كَانَ فِي الدُّورِ فَهُـــوَ مِيرَاثٌ يُقْسَمُ بَيْنَهُمْ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ .

فَقَامَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْنَ أَحْلَلْتَ لَنَا دِمَاءَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ حَرَّمْتَ عَلَيْنَا نِسَاءَهُمْ فَقَالَ : (لِأَنَّ الْقَوْمَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَ كَانَ لَهُمْ وَلَاءٌ قَبْلَ الْفُرْقَةِ وَ كَانَ نِكَاحُهُمْ لِرِشْدَةٍ)

فَلَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِ (ع) فَقَالَ لَهُمْ هَذِهِ السِّيرَةُ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأَنْكَرْتُمُوهَا فَانْظُرُوا أَيُّكُمْ يَأْخُذُ عَائِشَةَ فِي سَهْمِهِ فَرَضُوا بِمَا قَالَ فَاعْتَرَفُوا صَوَابَهُ وَ سَلَّمُوا الْأَمْرَ .

غاية الموضوعية

قال الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي كِتَابِ الْكَافِئَةِ فِي إِبْطَالِ تَوْبَةِ الْخَاطِئَةِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع فِي حَدِيثٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ الرَّاسِبِيِّ : لَمَّا قَالَ فِي شَأْنِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ إِنَّهُمُ الْبَاغُونَ الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ : (أَبْطَلْتَ يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ لَيْسَ الْقَوْمُ كَمَا تَقُولُ لَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ سَبَيْنَا أَوْ غَنِمْنَا أَمْوَالَهُمْ وَ مَا نَاكَحْنَاهُمْ وَ لَا وَارَثْنَاهُمْ)

كرم الأخلاق

قال الشيخ المفيد في الإرشاد [١٦٢]: و من كلامه عليه السلام بالبصرة حين ظهر على القوم قال :

(..... فما ظنكم يا أهل البصرة و قد نكثتم بيعتي و ظاهرتم على عدوي . فقام إليه رجل فقال : نظن خيرا و نراك قد ظفرت و قدرت

---

[١٦٢] ج : ١ ص : ٢٥٧ .

فإن عاقبت فقد اجترمنا ذلك و إن عفوت فالعفو أحب إلى الله فقال : قد عفوت عنكم فإياكم و الفتنة فإنكم أول الرعية نكث البيعة و شـــق عصا هذه الأمة) قال : ثم جلس للناس فبايعوه .

وهكذا نتبين عظمة الإمام عليه السلام في سيرته الشريفة التي سلكها مع مخالفيه ومقاتليه ووسعهم أمانه وحلمه وعطفه ورحمته ولم يعاملـــهم بالانتقام والتشفي وفي الحقيقة أن هذه منهجية وضعها الإسلام وتمثل به أمير المؤمنين عليه السلام .

من كلمات كان عليه السلام يدعو بها

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بـــالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِـــي رَمَـــزَاتِ الْأَلْحَاظِ وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ) .

الفصل التاسع

دور علماء الشيعة

في

حرمة التعرض للمسلمين بسوء

تمسكاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام وحفاظاً على الوحدة الإسلامية منع علماء الشيعة سواء كان على مستوى الفتوى أو غيرها على حرمة التعرض للمسلمين بسوء وأن من تشهد الشهادتين فهو محقون الدم والمال والعرض له مال للمسلمين وعليه ما على المسلمين وكنماذج لذلك نورد رأي بعض العلماء المقدسين الذي عاش في القرن ١٠ الهجري .

فتاوى المقدس الأردبيلي في منع التعريض بالآخرين وهو من أقل الأمور التي قد تؤذي من يعرض به .

وقبل الخوض في موضوعنا هذا نتعرف للتعرف على هذه الشخصية العظيمة فمن هو المقدس الأردبيلي ؟

التعريف بالمقدس الأردبيلي المتوفى ٩٩٣ هـــ :

جاء في مقدمة - مجمع الفائدة - للمحقق الأردبيلي ج ١ ص ٣٣ ما يلي :

الإمام الزاهد : المقدس الأردبيلي قدس سره :

١. قال العلامة الحر العاملي في تذكرة المتبحرين : " المولى الأجل الأكمل ، احمد بن محمد الاردبيلى كان عالماً ، فاضلاً ، مدققاً ، عابداً ، ثقة ، ورعاً ، عظيم الشأن ، جليل القدر " [١٦٣]

٢. وقال العلامة محمد بن على الأردبيلي : " احمد بن محمد الأردبيلي رحمه الله أمره في الجلالة والثقة والأمانة أشهر من أن يذكر وفوق ما تحرم حوله العبارة ، كان متكلماً ، فقيهاً ، عظيم الشأن ، جليل القدر ، رفيع المترلة ، أورع أهل زمانه ، و أعبدهم ، وأتقاهم " [١٦٤]

وقال المحدث النوري : العالم الرباني والفقيه المحقق الصمداني ، المولى احمد بن محمد الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ - الذي غشى شجرة علمه وتحقيقاته أنوار قدسه وزهده وخلوصه وكراماته " [١٦٥]

وقال المحدث الشيخ عباس القمي : " المولى الأجل العالم الرباني و المحقق الفقيه الصمداني مولانا احمد بن محمد الأردبيلي النجفي ، أمره في الثقة و الجلالة والفضل والنبالة والزهد والديانة والورع والأمانة أشهر من

---

[١٦٣] نقلا عن معجم رجال الحديث للإمام الخوئى ج ٢ ص ٢٢٩ .

[١٦٤] جامع الرواة ج ١ - ص ٦١ .

[١٦٥] خاتمة المستدرك ج ٣ ص ٣٩٢ طبع قديم

أن يحيط به قلم أو يحويه رقم ، كان متكلماً فقيهاً ، عظيم الشأن جليل القدر رفيع المترل أورع أهل زمانه واعبدهم واتقاهم ، وكفى في ذلك ما قال العلامة المجلسي ره : و المحقق الأردبيلي في الورع والتقوى والزهد والفضل بلغ الغاية القصوى ، ولم اسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين جمع الله بينه وبين الائمة الطاهرين [١٦٦].

وبهذا يعرف أن شخصية المحقق الأردبيلي من النماذج الإنسانية الفذة التي يصح أن توصف حقا - بأن الأمهات عقمت عن مثله ، فهو بالإضافة إلى عبقريته العلمية التي لا يلبث قاري كتاب - هذا شرح الإرشاد - أن يعترف له بها ، بعد تصفح يسير لما تضمنه من تحقيق وتدقيق ، - أصبح مضرب الأمثال في الورع الطاهر والتقي التريه ، الذي رفع به إلى مصاف الصديقين الذين تشح بأمثالهم أرحام الأمهات [١٦٧].

حرمة تحقير المسلم وإهانته

شاع في الآونة الأخيرة التطاول على الأطراف الأخرى من الغيبة والنميمة والبهتان والإسقاط والتحقير للغير لمجرد أدنى اختلاف في وجهات النظر أو العادات والسلوك وبرر ذلك على أساس الدين

---

[١٦٦] الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦٦.

[١٦٧] مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١ ص ٣٣ - ٣٤

والمذهب وهنا ننقل بعض كلام.... علمائنا الأبرار المقدسين في الموضوع
.

قال العلامة الحلي في إرشاد الأذهان: وكل تعريض بما يكرهه المواجه يوجب التعزير : كأنت ولد حرام ، أو حملت بك أمك في حيضها ، أو لم أجدكِ عذراء ، أو احتلمت بأمك البارحة ، أو يا فاسق ، أو يا كافر ، أو يا خنزير ، أو يا حقير ، أو يا وضيع ، أو يا أجذم ، أو يا أبرص .
ولو كان المقول له مستحقا فلا تعزير .[١٦٨]

وقال المقدس الأردبيلي في شرحه لكلام العلامة المتقدم بقوله :
قوله : " وكل تعريض بما يكره .....الخ " هو الإهانة ، والعقوبة التي لا تقدير لها شرعا غالبا ، بخلاف الحد ، وموجبه كل تعريض مخاطب بخطاب يكرهه ولم يكن قذفا لغة ولا شرعا ولا عرفا ، فانه إذا كان كذلك يكون موجبا للحد لا التعزير .[١٦٩]

أذية المسلم توجب التعزير

ويتابع المقدس الأردبيلي كلامه فيقول :
(والظاهر أن كل ما يؤذي المسلم بغير حق ، بل كل ذنب غير موجب للحد ، موجب للتعزير وليس بمخصوص بالخطاب إلى مواجه بما يكرهه كما يفهم من تضاعيف الأبحاث . ولأنه لا خصوصية له بالمخاطب ، بل

---

[١٦٨] - إرشاد الأذهان - العلامة الحلي ج ٢ ص ١٧٨ :
[١٦٩] - مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٥٦ :

باللفظ والكلام أيضا ، فان سببه كونه معصية وذنبا فيؤخذ أينما وجد.[١٧٠]

ويفهم التعزير في كل ما يؤذي المسلمين ، من رواية الحسين بن أبي العلاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إن رجلا لقي رجلا على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إن هذا افترى علي ؟

قال : وما قال لك ؟

قال : انه احتلم بأم الآخر .

قال : إن في العدل إن شئت جلدت ظله ، فان الحلم إنما هو مثل الظل ولكنا سنوجعه ضربا وجيعا حتى لا يؤذي المسلمين فضربه ضربا وجيعا (١٧١) .

فيمكن استفادة الكلية من هذه الأخبار ، وكأن ذلك مرادهم وأشار (١٧٢) إلى ذلك بكثرة الأمثلة ، مثل أن قال لمخاطب : أنت ولد حرام فان ذلك ليس بموجب للحد ، للأصل ، وعدم ثبوت كونه صريحا في العرف بولد الزنا فانه كثيرا ما يقال ذلك على الذي خبيث شيطان يصدر منه أفعال قبيحة مشتملة على التزوير . فقول ابن إدريس : انه يفهم منه عرفا كونه ولد زنا وحاصلا من الزنا - فهو موجب للحد -

---

[١٧٠] - مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٥٦ :

[١٧١] الوسائل باب ٢٤ حديث ١ من أبواب حد القذف ج ١٨ ص ٤٥٨ .

[١٧٢] يعني العلامة الحلي في أصل الكتاب وهو إرشاد الأذهان .

، غير ظاهر . ويؤيده الشهرة ، وادرأوا ، ومبنى الحدود على التخفيف ، والاحتياط .

وقوله : (حملت أمك في الحيض) أيضا موجب للتعزير لا الحد ، فان الوطء في الحيض ليس بزنا بل الوطء فيه حرام ، فهو مشعر بوقوعه في الحيض وان لم يكن صريحا في ذلك فهو موجب للتعزير ، لان فيه إيذاء له بمجرده ، سواء كان إسنادا لأمه أوله ، إلى الحرام أم لا وحينئذ يمكن التعزير لهما أيضا ، فتأمل .[١٧٣]

ويتابع المقدس الأردبيلي كلامه في حرمة تحقير الغير وقول القائل للآخرين : يا فاسق أو يا كافر وما شابه ذلك مما هو تحقير وأن المتكلم بهذه الألفاظ يستحق التعزير ، وكذا يوجب التعزير لو قال المتكلم لشخص آخر:

(.... يا فاسق ، ويا كافر ، ويا خنزير وما شابه ذلك مما يدل على التحقير والأذى مثل الحقير والوضيع وما يدل على اتصافه بالأمراض مثل الأجذم والأبرص .

هذا كله مع عدم استحقاق المقول في حقه ، ذلك من القائل مثل إن فعل.

---

[١٧٣] - مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٦٠- ١٦١

ولو كان المقول له مستحقا فلا تعزير ..... - واستحق مثل الحقير والوضيع من الشارع تعزيرا له - أو يتجاهر بالفسق ولا يبال من أن يقال له : يا فاسق .

وأما إذا تظاهر ومع ذلك يتأذى بالقول له : يا فاسق أو ذكره بين الناس بالفسق ، فيمكن المنع عن ذلك وكونه موجبا للتعزير أيضا لعموم ما يدل على ذلك ، وعلى عدم جواز الغيبة إلا أن يكون المقصود من ذكره امتناعه بذلك عنه وهو ممن هو كذلك بظن القائل وعدم طريق أسهل إلى منعه ، منه .

ويحتمل جواز ذكره على ذلك الوجه حينئذ فلا يحرم ولا يستحق التعزير للخبر المشهور (لا غيبة لفاسق)[١٧٤] وان احتمل أن يكون معناه النهي عن غيبة الفاسق مثل (لا فسوق ولا جدال في الحج)[١٧٥] قاله الشهيد في قواعده). [١٧٦]

---

[١٧٤] عوالي اللآلي ج ١ ص ٤٣٨ رقم ١٥٣ طبع مطبعة سيد الشهداء - قم.

[١٧٥] البقرة : ١٩٧ .

[١٧٦] - مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٦٢ :

ويفهم من كلام المقدس الأردبيلي :

١. أن إهانة المسلم أو تحقيره أو أذيته حرام وغير جائز فإن كان الكلام قذفا وجب الحد على المتكلم وإلا وجب التعزير .
٢. أن المقول فيه الكلام إن كان مستحقاً فلا تعزير على المتكلم .
٣. وإن كان المتكَلَم فيه غير مستحق فالمتكِلِم يستحق التعزير .
٤. أن الفاسق المتجاهر بفسقه ولا يبال بالقول فيه يا فاسق . فلا تعزير على القائل.
٥. الفاسق المتجاهر بالفسق إذا كان يتأذ بقولهم له : يا فاسق أو أن يذكر بين الناس بالفسق فربما يحرم هذا القول فيه والمتكلم يستحق التعزير .
٦. أن معنى (لا غيبة لفاسق) يحتمل أن يراد منه النهي عن غيبته وليس جواز غيبته .

كل ذلك من باب التشديد في الكلام على الأطراف الأخرى .

النقد للفكر وليس للشخص

ويواصل المحقق الأردبيلي كلامه حول الفاسق المتجاهر بالفسق وأهل البدع فيعرض الروايات في الموضوع ثم يستخلص منها أن النقد للفكر وللبدع نفسها وليس للقائلين بها بقوله :

(وقال في شرح الشرائع : والمراد بكون المقول له مستحقا للاستخفاف أن يكون فاسقاً متظاهراً بفسقه ، فإنه لا حرمة له حينئذ ، لما روي عن الصادق عليه السلام (إذا جاهر الفاسق بفسقه ، فلا حرمة له ولا غيبة له)[١٧٧] .

وفي بعض الأخبار : من تمام العبادة ، الوقيعة في أهل الريب[١٧٨] .

ورواية داود بن سرحان - في الصحيح - عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :(إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فاظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم لئلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ، ولا يتعلمون من بدعهم ، يكتب (الله - خ) لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة[١٧٩] .

والظاهر أن مراده بقوله : والمراد بطريق التمثيل لا الحصر .

---

[١٧٧] الوسائل باب ١٥٤ حديث ٤ من ابواب آداب العشرة ج ٨ ص ٦٠٤ .

[١٧٨] بحار الانوار : كتاب العشرة ، باب من لا ينبغي مجالسته ومصادقته ج ٧٤ ص ٢٠٤ .

[١٧٩] الوسائل باب ٣٩ حديث ١ من ابواب الامر والنهي ج ١١ ص ٥٠٨ .

وان الروايات السابقة على كلام شارح الشرائع غير ظاهرة الصحة ولا صريحة الدلالة في التعزير بكل ما يكره المخاطب.

ويفهم من الرواية الأولى [180] جواز مواجهة الفاسق بفسقه كفيته ([181]) كما مر فتأمل .

وان المراد بالرواية الثانية [182] ذكر جماعة من أهل البدع بالوقيعة فيهم ومن جهة بدعتهم حتى لا يتبعهم أحد .

قيل : من احدث مذهباً وديناً غير دين الله ودعا الناس إليه فيجب على المسلمين ردهم عن ذلك وتزييفهم والوقيعة في دينهم بما يبطله وتشنيعهم على ذلك الدين مقتصرا على الواقع والتشنيع على ذلك الدين فقط لا غير [183].

والخلاصة من هذا الكلام :

١. أن ما ذكر من أمور في الروايات وبالأخص الصحيحة المتقدمة إنما هو من باب المثال وليس من باب الحصر والتعيين فلا خصوصية للأمثلة المذكورة بل تتعدى إلى بقية الموارد المشابهة لها .

٢. أن النقد للفكر المنحرف من البدع وغيرها والرد عليها وتزييفها حتى يتعرف الآخرون على باطلها ويرتدعوا عنها .

---

[180] أي المروية عن الصادق عليه السلام (إذا جاهر الفاسق بفسقه ، فلا حرمة له ولا غيبة له)

[181] كذا في النسخ كلها مطبوعة ومخطوطة ولعل العبارة : (كغيبته) والله العالم .

[182] أي (من تمام العبادة ، الوقيعة في أهل الريب)

[183] مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٦٤

٣. أن لا يكون تجريح للشخص نفسه وتحقيره ولصق التهم والأباطيل به .

٤. المراد من المباهتة لأهل البدع في الصحيحة : ليس البهتان والقول فيهم بما لم يقع فإن هذا كذب وخلاف ما يفهمه أهل اللغة .

بل الذي فهمه أهل اللغة من المباهتة هو المباغتة في الحجة والدليل بحيث يفاجأ بشيء لم يكن يترقبه ويصبح متحيراً ماذا يفعل أو يقول .

قال الخليل الفراهيدي في البُهتان بمعنى الافتراء :

بهت : بَهَتَهُ فلان أي استقبله بأمر قذفه به وهو بريء منه ، لا يعلمه ، والاسم البُهتان.

وقال في المعنى الثاني بمعنى المباغتة والتحير :

وبُهِتَ : الرجل يُبْهَتُ بهتاً إذا حار ، يقال : رأى شيئاً فَبُهِتَ : ينظر نظر المتعجب .

وقال العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول ج ١١ ص ٨١ بشرح الخبر : والظاهر أن المراد بالمباهتة إلزامهم بالحجج القاطعة وجعلهم متحيرين لا يحيرون جوابا كما قال تعالى : فبهت الذي كفر ، ويحتمل أن يكون من البهتان للمصلحة فإن كثيرا من المساوي يعدها أكثر الناس محاسن خصوصا العقائد الباطلة والأول

أظهر قال الجوهري : بهته بهتا أخذه بغتة وبهت الرجل بالكسر إذا دهش وتحير إلخ.

الشهيد الأول يحرم غيبة المخالف وإيذائه

ويواصل المقدس الأردبيلي كلامه الجريء حول عدم جواز غيبة المخالف وإيذائه بقوله : (وصرح الشهيد في قواعده بأنه يحتمل عدم جواز غيبة المخالف إلا أن يذكره في دينه ويذمه على ذلك فقط ولا يتعدى إلى غيره ، فتأمل ، وكذا الثالثة [١٨٤].

واعلم انه قد يفهم من كلام الأصحاب في هذا المقام ، ومما تقدم من الأخبار، أن كل ما يكرهه المواجه بل كل محرم ، موجب للتعزير ، فهو يدل على عدم جواز إيذاء المخالف ، بل عدم جواز ذلك بالنسبة إلى بعض الكفار أيضا ، فتأمل .

إلا أن يذكره المسلم بالوقيعة في دينه لدليل إن كان صحيحاً وغير قذف ولا يقول : الأبرص والأجذم ، والحقير ، والوضيع وان كان كذلك في الواقع ولا يقول في دينهم ما ليس فيه من القبائح كما يفهم ذلك من قواعد الشهيد).[١٨٥]

ويفهم من هذا الكلام :

١. عدم جواز غيبة أهل السنة .

---

[١٨٤] أي رواية داود بن سرحان .

[١٨٥] - مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ١٣ ص ١٦٤ :

٢. عدم جواز أذيتهم .
٣. عدم جواز تحقيرهم بقولك يا أبرص أو يا أجذم ، وإن كان فيهم .
٤. عدم جواز أذية بعض الكفار .
٥. ليس النقاش في الأشخاص بل في الأفكار ولا مانع من الرد عليها بكل قوة .
٦. عدم جواز نسبة بعض الأمور لدين الكفار إذا لم تكن فيه .
٧. والنتيجة من ذلك : أن يتأصل الحوار بين الحضارات فضلا عن الحوار في داخل الحضارة الإسلامية .

الأردبيلي يحرم غيبة أهل السنة

ويواصل المحقق الأردبيلي كلامه في حرمة غيبة أهل السنة بشكل أوضح مما تقدم في كتابه (مجمع الفائدة) ج ٨ ص ٧٦ بقوله :
(والظاهر أن عموم أدلة تحريم الغيبة من الكتاب والسنة يشمل المؤمنين وغيرهم ، فإن قوله تعالى : " {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا } (١٢) سورة الحجرات.
إما للمكلفين كلهم ، أو المسلمين فقط ، لجواز غيبة الكافر ولقوله تعالى بعده : " لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا " وكذا الأخبار فإن أكثرها بلفظ الناس أو المسلم .

مثل ما روي في الفقيه : " من اغتاب امرئ مسلماً بطل صومه ونقض وضوئه وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة انتن من الجيفة يتأذى به أهل الموقف ، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلا لما حرم الله تعالى ..... ، ألا من سمع فاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها ..... ، ومن اصطنع إلى أخيه معروفاً فامتن به أحبط الله عمله وأثبت وزره ولم يشكر له سعيه "[١٨٦] .

وقال (ره) في رسالة الغيبة : " قال النبي صلى الله عليه وآله : (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه)، والغيبة تناول العرض ، وقد جمع بينها وبين الدم والمال وقال صلى الله عليه وآله : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، وكونوا عباد الله إخوانا [١٨٧] .

وعن انس قال : قال البراء : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اسمع العواتق في بيوقما ، فقال : يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراقمم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع

---

[١٨٦] الفقيه ج ٤ (١) باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله ص (٢) والوسائل ج ٨ ، كتاب الحج ، الباب (١٥٢) من أبواب أحكام العشرة ص (٥٩٩) الحديث (١٣) .

[١٨٧] كشف الريبة ، المقدمة في اثبات حرمة الغيبة ، ص (٦) .

الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته "[١٨٨] وغير ذلك[١٨٩].

وبالجملة : عموم أدلة الغيبة وخصوص ذكر المسلم يدل على التحريم مطلقا ، وأن عرض المسلم كدمه وماله ، فكما لا يجوز أخذ مال المخالف وقتله لا يجوز تناول عرضه الذي هو الغيبة ، وذلك لا يدل على كونه مقبولا عند الله ، كعدم جواز أخذ ماله وقتله كما في الكافر . ولا يدل جواز لعنه بنص ، على جواز الغيبة مع تلك الأدلة بأن يقول : إنه طويل ، أو قصير ، وأعمى ، وأجذم ، وأبرص ، وغير ذلك ، وهو ظاهر . وأظن أني رأيت في قواعد الشهيد (ره) " أنه يجوز غيبة المخالف من حيث مذهبه ودينه الباطل وكونه فاسقا من تلك الجهة لا غير ، مثل أن يقال : أعمى ونحوه " الله يعلم ، ولا شك أن الاجتناب أحوط[١٩٠].

---

[١٨٨] كشف الريبة ، المقدمة في اثبات حرمة الغيبة ، ص (٧) .

[١٨٩] مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ٨ ص ٧٦

[١٩٠] مجمع الفائدة - المحقق الأردبيلي ج ٨ ص ٧٧

التعريض بالآخرين عقوبته التعزير

معنى التعريض في اللغة[191]

الفرق بين التعريض والكناية :[192]

الفرق بينهما : أن التعريض ضد التصريح : وهو إبهام المقصود بما لم يوضع له لفظ حقيقة ولا مجازا ، وهو أن نضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وغير المقصود ، إلا أن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح كقول السائل للغني ، جئتك لأسلم عليك ، يريد به الإشارة إلى طلب شيء منه ، وكقول القائل للبخيل : ما أقبح البخل ! يعرض أن المخاطب بخيل . قيل : وأصله من العرض للشيء الذي هو جانبه وناحية منه . كأن المتكلم أمال الكلام إلى جانب يدل على الغرض . ويسمى : التلويح أيضا ، لأنه يلوح منه ما يريده .

والكناية : الدلالة . على الشيء بغير لفظه الموضوع له ، بل لوازمه ، كطويل النجاد : لطويل القامة ، وكثير الرماد : للمضياف . (اللغات)

---

[191] - الفروق اللغوية- أبو هلال العسكري ص ١٢٧ رقم ٥٠٠ .

[192] التعريض والكناية في الكليات (التعريض ٤ : ١١٠ والكناية ٣ : ١١٨ ، ١٨٦ ، ١٨٨) . والمفردات : ٤٩٥ . والفرائد : ٤٢ .

التعريض : خلاف التصريح ، وهو الإيماء والتلويح ولا تبيين فيه ، وهو كثير في الكلام ، وقد تقدم الفرق بينه وبين الكناية . وعرضت لفلان وبفلان : إذا قلت قولا وأنت تعنيه . ومنه (المعاريض في الكلام) وهي التورية عن الشيء بالشيء ، كما إذا سألت رجلا هل رأيت فلانا وقد رآه ويكره أن يكذب فيقول إن فلانا ليرى ، فيجعل كلامه معراضا فرارا من الكذب . ومنه المثل (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) أي سعة .[١٩٣]

وفيه " الكناية " بالكسر وهي ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، ويكون في المفرد والمركب ، وهي غير التعريض ، فإنه اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي بل من جهة التلويح والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة : والله إني لمحتاج " فإنه تعريض بالطلب .[١٩٤]

التعريض : هو التلويح والإيهام على المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل للغني جئتك لأسلم عليك ، يريد به الإشارة إلى طلب شيء ، والكناية هي الدلالة على الشيء بغير لفظه الموضوع له ، بل بلوازمه كطويل النجاد لطويل القامة ، وكثير الرماد للمضياف ، والخِطبة - بالكسر - طلب المرأة للتزويج ، فمضمونها نفي الحرج

---

[١٩٣] مجمع البحرين - الشيخ الطريحي ج ٣ ص ١٥٤ .

[١٩٤] مجمع البحرين - الشيخ الطريحي ج ٤ ص ٧٨ .

والإثم عن التعريض بطلب المرأة في العدة بالتزويج بعدها ، مثل أن يقول لها أنت جميلة ونافقة وصالحة للتزويج ، ونحوها من أوصافها ، أو يذكر بعض أوصافه مثل أنا محتاج إلى التزويج وأنا من قريش ونحوه [195].

حرمة التعريض بالآخرين

آية الله العظمى السيد محمد رضا الكلبيكاني المتوفى ١٤١٤ هـ :
وهو أحد المراجع الكبار الذين قضوا حياتهم في خدمة الدين والمذهب حتى آخر حياته وهو على درجة كبيرة من الورع والتقوى له مشاريع كثيرة وكبيرة في خدمة المؤمنين والمؤمنات كما ترك تراثاً علمياً نافعاً ومؤسسات علمية لا زالت إلى الآن تؤدي دورها .
قال في تقريرات درسه الدر المنضود ج ٢ ص ١٣٦ . الكلام في التعريض قال المحقق : (وكل تعريض بما يكرهه المواجه ولم يوضع للقذف لغة ولا عرفا يثبت به التعزير لا الحد . . .)
أقول : إن التعريض على ما قالوا خلاف التصريح وهو الإيماء والتلويح ولعل معناه الظاهر هو الكناية وكون الكلام موهما .[196]

---

[195] زبدة البيان - المحقق الأردبيلي ص ٥٦١ .

[196] في مجمع البحرين : الكناية بالكسر وهي ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ويكون في المفرد والمركب وهي غير التعريض فإنه اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي بل من جهة التلويح

قال صاحب الجواهر بعد عبارة المحقق : بلا خلاف أجده فيه بيننا . ثم قال : نعم عن مالك أنه يجعله قذفا عند الغضب دون الرضا انتهى .

وكأنه رحمه الله كانت له عناية بنقل ذلك عن مالك . وكيف كان فعنده أن التعريض إذا كان عند الغضب فهو قذف وهذا الذي ذكره لا بأس به ، وذلك لتحقق الدلالة العرفية عند إلقائه في حال الغضب دون مقام الرضا .

قال في الجواهر توجيها لما ذكره مالك من كونه قذفا : يمكن إرادته الدال منه عرفا على ذلك لا غيره مما لم يكن كذلك . ثم قال : اللهم أن يقال : إن التعريض الذي نفوا الحد فيه دال عرفا بدلالة التعريض إلا أنها غير معتبرة في ثبوت القذف للأصل واعتبار التصريح في ما سمعته من الخبر وبناء الحد على التخفيف وغير ذلك ، ومن هنا صرح في الرياض بعدم اعتبار التعريض .

وفيه إنه قد تقدم عدم خصوصية للتصريح بمعناه اللغوي بل كان يكفي مطلق الدلالة وإن كان بالظهور لا بالصراحة وحينئذ فإذا كان التعريض دالا عرفا على نسبة الزنا مثلا إليه فكيف يقال بعدم الحد بعد أن حكم الشارع كتابا وسنة مترتب على ما يفهم من اللفظ أي القذف فإن خطابات الشرع منزلة على المفاهيم العرفية وعلى الجملة فلو كانت

والإشارة فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة : والله إني لمحتاج ، فإنه تعريض بالطلب انتهى .

الدلالة بالتأويل والتوجيه فهو وأما إذا كان لفظ التعريض دالا عرفا فهو من أقسام المصرح ويترتب عليه الحد .

وعلى هذا فيكفي في تحقق القذف الظهور العرفي ولا حاجة إلى التصريح . وقد يتمسك لاعتبار التصريح برواية إسحاق بن عمار عن جعفر عليه السلام : إن عليا عليه السلام كان يعزر في الهجاء ولا يجلد الحد إلا في الفرية المصرحة أن يقول : يا زان أو يا بن الزانية ، أو لست لأبيك .[197]

وفيه أنه مع التصريح باعتبار الفرية المصرحة فقد مثل عليه السلام بقوله : لست لأبيك ، مع أنه ليس بصريح في الزنا بل هو ظاهر فيه لاستعماله في ولد الشبهة أيضا وعلى هذا فالموارد التي نفى الإمام عليه السلام الحد فيها لم يكن فيها ظهور عرفي . إن قلت : إن النسب التعريضية مثل قوله القائل : لست بحمد الله بزان أيضا ظاهر في نسبة المخاطب مثلا إلى الزنا .[198]

نقول : ليس لهذا التركيب ظهور عرفي في ذلك كما أن قولنا : أنت لا تأكل أموال الناس ، لا يدل على أننا نأكل أموال الناس . ثم إن

---

[197] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٦ .

[198] من المقرر ، وقد أجاب دام بقاه بما في المتن ولعل مراده أن قول : لست بزان دال على عدم زناه قطعا ولا يدل على زنا الغير قطعا بل يريد أن يقول هناك احتمال ذلك وهذا لا يوجب الحد .

المستفاد من عبارة المحقق هو أن الملاك في التعريض الموجب للتعزير هو كونه بما يكرهه المواجه .

وفيه إنه لا خصوصية للمواجه فربما لا يكون النسبة متوجهة إليه بل النسبة متوجهة إلى شخص آخر لا تعلق له بالمواجه به أو أنه وإن كانت بينهما علقة وقرابة لكنها لا توجب كراهية المواجه فهل يمكن أن يقال : إنه ليس بتعريض أو أنه لا يوجب التعزير استنادا إلى عدم إيجابه كراهية المواجه؟

وعلى الجملة فلم يتعرض بحسب ظاهر كلامه لما يكرهه المنسوب إليه لو سمعه مع أنه أيضا كالأول ولا خصوصية له . بل لعل ذلك خلاف المستفاد من الروايات ، فإن الظاهر منها أن مطلق السب والهجاء وما يوجب كراهية من قيل فيه يقتضي تعزيره وإليك قسما من الروايات الدالة على أن السب مطلقا أو الهجاء للمؤمن حرام وفسوق أو أنه يوجب التعزير وقد ذكر قسم منها في أبواب أحكام العشرة من كتاب الحج وقسم آخر منها في أبواب القذف :

فمنها عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه)[١٩٩]

---

[١٩٩] وسائل الشيعة ج ٨ ص ٦١٠ ب ١٥٨ من أحكام العشرة ح ٣ .

وعن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال الله عز وجل : (ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن)[٢٠٠]

وهذه الروايات تدل على الحرمة وأما ما دل على التعزير أيضا :

ففي صحيح عبد الرحمان بن أبي عبد الله قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عـــن رجل سب رجلا بغير قذف يعرض به هل يجـــلد ؟ قال : (عليه تعزير)[٢٠١]

وعن جراح المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إذا قال الرجل : أنت خبيث (خنث) أو أنت خنزير فليس فيه حد ولكن فيه موعظة وبعض العقوبة)[٢٠٢]

وعن أبي مخلد السراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل دعا آخر : ابن المجنون ، فقال له الآخر : أنت ابن المجنون فأمر الأول أن يجلد صاحبه عشرين جلدة وقال : (اعلم أنه مستعقب مثلها عشرين) فلما جلده أعطى المجلود السوط فجلده عشرين نكالا ينكل بهما)[٢٠٣]

---

[٢٠٠] وسائل الشيعة ج ٨ ص ٥٩١ ب ١٤٧ من أحكام العشرة ح ١ .

[٢٠١] وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٤٥٢ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ١ .

[٢٠٢] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٢ ، وفي المنجد : خنث الرجل فهو خنث ، كان فيه لين وتكسر وتثن فكان على صورة الرجال وأحوال النساء .

[٢٠٣] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٣ .

وعن النعمان بن عبد السلام عن أبي حنيفة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قال لآخر : يا فاسق ، قال : (لا حد عليه ويعزر)[٢٠٤]

وعن أبي مريم عن أبي جعفر عليه السلام قال : قضى أمير المؤمنين عليه السلام في الهجاء التعزير .[٢٠٥]

وعن إسحاق بن عمار عن جعفر عليه السلام : إن عليا عليه السلام كان يعزر في الهجاء ولا يجلد الحد إلا في الفرية المصرحة أن يقول : يا زان ، أو يا ابن الزانية أو لست لأبيك[٢٠٦] . وفي قرب الاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه في رجل قال لرجل : يا شارب الخمر يا آكل الخنزير قال : (لا حد عليه ولكن يضرب أسواطا)[٢٠٧]

وعن عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين افترى كل واحد منهما على صاحبه ؟ فقال : (يدرأ عنهما الحد ويعزران)[٢٠٨]

---

[٢٠٤] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٤ .

[٢٠٥] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٥ .

[٢٠٦] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٦ .

[٢٠٧] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ١٠ .

[٢٠٨] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٢ .

وعن أبي ولاد الحناط قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجلين قذف كل واحد منهما صاحبه بالزنا في بدنه ، قال : فدرأ عنهما الحد وعزرهما.[209]

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على المقصود وسيأتي بعض آخر منها في طي الأبحاث وعلى الجملة فلا شك في أن إيذاء المؤمن من المعاصي الكبيرة ولا في أن سبه أو تعريضه موجب لإيذائه وهو موجب للتعزير فإذا سب مؤمنا فإنه يعزر على ذلك سواء كان سبه له بالمواجهة أو في غيابه .

نعم لو اغتابه بلا سب فربما يكفره مجرد الاستحلال منه بلا حاجة إلى التعزير إلا أن يثبت في محله وجوب التعزير لكل كبيرة ولا أقل من إثبات وجوبه للغيبة . وأما وجوب التعزير لسب المؤمن إذا لم يكن مقرونا بالقذف فهو المصرح به في هذه الروايات [210].

---

[209] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٨ من أبواب حد القذف ح ٢ - قوله : في بدنه ، الظاهر أنه بدنة أي قذف صاحبه في نزاع بينهما في بدنة . راجع الوافي ج ٢ أبواب الحدود ص ٥٦ .

[210] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٣٨ .

أسباب التعزير

وقد اتضح أن الأخبار متعرضة للتعزير في موارد وعند حصول عناوين مختلفة :

أحدها : السب كما في رواية عبد الرحمان بن أبى عبد الله المذكورة آنفا .

ثانيها وثالثها : قول يا خبيث ، أو يا خنث أو يا ختزير كما في رواية المدائني .

رابعها : قول : يا ابن المجنون كما في رواية السراج .

خامسها قول : يا فاسق كما في رواية أبي حنيفة .

سادسها : الهجاء كما في رواية أبي مريم ورواية إسحاق بن عمار .

سابعها وثامنها قول : يا شارب الخمر ، يا آكل الختزير كما في رواية قرب الاسناد .

تاسعها : افتراء كل منهما الآخر كما في رواية عبد الله بن سنان .

عاشرها : قذف كل منهما الآخر كما في رواية الحناط . لكن لا يخفى أن التعزير هنا مخصوص بما إذا كان قذف كل بالنسبة إلى صاحبه . وأما إذا كان بالنسبة إلى والد الآخر أو والدته كما إذا قال : يا بن الزاني أو يا بن الزانية فهنا لكل من المقذوفين أن يطالب حد القاذف فدرء الحد ، مخصوص بما إذا قال كل للآخر : يا زاني مثلا .

وهنا روايات مشتملة على عناوين أخر في هذا المقام فنقول :

حادي عشرها وثاني عشرها : لا أب لك ولا أم لك ففي رواية مسعدة بن صدقة عن جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام قال : من قال لصاحبه : لا أب لك ولا أم لك يتصدق بشي ومن قال : لا وأبي فليقل أشهد أن لا إله إلا الله فإنها كفارة لقوله .[211]

أقول : الظاهر أن المراد بقوله : لا أب ولا أم لك هو أنه ليس لك أب وأم وجيهان لا أن يكون المقصود كونه من الزنا . ثالث عشرها : إحتلمت بأمك أي رأيتها في المنام وحصل لي الاحتلام بها .

كما في رواية حسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن رجلا لقي رجلا على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إن هذا افترى علي قال : وما قال لك ؟ قال : إنه احتلم بأم الآخر قال : (إن في العدل إن شئت جلدت ظله فإن الحلم إنما هو مثل الظل ولكنا سنوجعه ضربا وجيعا حتى لا يؤذي المسلمين) فضربه ضربا وجيعا .[212]

---

[211] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٩ من أبواب حد القذف ح ٧ وحيث إن اللفظين كانا من السب فلذا قال : فليتصدق وأما قول : وأبي فهو بغير الله تعالى وفيه شائبة الشرك فلذا يكفره بقول : لا إله إلا الله وقد ورد في تفسير آية : وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، يوسف ١٠٦ عن الباقر عليه السلام : من ذلك قول الرجل : لا وحيوتك ، راجع تفسير الصافي ج ١ ص ٨٦٠ .

[212] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ٢٤ من أبواب حد القذف ح ١ .

وعن محمد بن علي بن الحسين بإسناده إلى قضايا أمير المؤمنين عليه السلام : إن رجلا قال له : إن هذا زعم أنه احتلم بأمي فقال : (إن الحلم بمنزلة الظل فإن شئت جلدت لك ظله ثم قال : لكني اؤدبه لئلا يعود يؤذي المسلمين)[٢١٣]

رابع عشرها : قول الرجل لامرأته : لم أجدك عذراء كما في روايات عديدة وسيأتي الكلام فيه . [٢١٤]

---

[٢١٣] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ٢٤ من أبواب حد القذف ح ٢ .

[٢١٤] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٤١ .

حرمة إيذاء المسلمين

والتعزير لمن يفتري على أهل الذمة وأهل الكتاب

خامس عشرها :[٢١٥]

الإيذاء : وهو الكلي الجامع الذي يشمل الموارد المذكورة ويجمعها وهذا العنوان مذكور في هاتين : رواية حسين بن أبي العلا ورواية قضايا أمير المؤمنين عليه السلام ، ففي الأولى حتى لا يؤذي المسلمين ، وفي الأخيرة : لئلا يعود يؤذي المسلمين .

ثم إن في بعض الروايات تعزير من افترى على أهل الذمة وأهل الكتاب ، وعليه فمن العناوين : الافتراء عليهم .

فعن إسماعيل بن الفضل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الافتراء على أهل الذمة وأهل الكتاب هل يجلد المسلم الحد في الافتراء عليهم ؟ قال : (لا ولكن يعزر)[٢١٦]

ثم إن مقتضى التعليل الوارد في رواية حسين بن أبي العلا ورواية القضايا هو أن الملاك الكلي الإيذاء ومن المعلوم أن إيذاء المسلم حرام يوجب التعزير سواء كان لفظيا أم فعليا وسواء كان بالنسبة إلى المواجه أو الغائب إذا كان هناك مخاطب وإن لم يكن النسبة إليه ولا إلى من يلوذ به بل إلى أجنبي عنه .

---

[٢١٥] در المنضود – للسيد محمد رضا الكلبيكاني ج ٢ ص ١٤٢ .

[٢١٦] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١٧ من أبواب حد القذف ح ٤ .

نعم هو منصرف عما إذا قال في حق أحد كلمة سوء ولم يكن هناك أحد يستمعه وإنما ذكر ذلك وتفوه بها تحت لحافه مثلا .

ثم إنه بعد ما استفدنا أن الملاك الكلي هو استخفاف المؤمن وإيذائه فالظاهر أنه لا اختصاص بتلك الكلمات الواردة في الروايات فدقق النظر في رواية حسين بن أبي العلا تجد أنه لا خصوصية للرؤيا في المنام ولا للتفوه بتلك الكلمة الخاصة أي احتلمت بأمك بل تمام المعيار هو إيذاء المسلم وعليه فالأمثلة الواردة في الروايات كانت من باب المثال لا لخصوصية فيها فلذا لو قال له : يا آكل الربا أو يا آكل الدم أو الميتة وغير ذلك فالأمر كما ذكر .

قال المحقق الاردبيلي عند قول العلامة في الإرشاد : وكل تعريض بما يكرهه المواجه يوجب التعزير كأنت ولد حرام.

والظاهر أن كل ما يؤذي المسلم بغير حق بل كل ذنب غير موجب للحد موجب للتعزير وليس بمخصوص بالخطاب إلى مواجه بما يكرهه كما يفهم من تضاعيف الأبحاث ولأنه لا خصوصية له بالمخاطب بل باللفظ والكلام أيضا بل سببه كونه معصية وذنبا فيؤخذ أينما وجد ، وأما الدليل على الكلية فلا يكاد أن يوجد ما يكون نصا فيه نعم قد يوجد في الأخبار ما يمكن فهمه منها وقد مر بعضها مثل صحيحة عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام .... إلخ فراجع .

وقد ذكر العلماء رضوان الله تعالى عليهم أمثلة كثيرة ينطبق على كثير :

منها : السّب أو ما يؤذي المؤمن من جهة دلالتها على فعل المحرم أو على ما هو وهن وتحقير له مثل يا خبيث ويا وضيع .

وقد مثل المحقق قدس سره لذلك بقوله : أنت ولد حرام ، أو حملت بك أمك في حيضها أو يقول لزوجته لم أجدك عذراء أو يقول : يا فاسق أو يا شارب الخمر ونحو ذلك وهو متظاهر بالفسق ، أو يا خنزير أو يا كلب أو يا حقير أو يا وضيع فإن الجملة الأولى ليست صريحة ولا ظاهرة في الزنا لاستعماله في غير هذا المعنى أيضا كالحمل في حال الحيض أو الصوم أو الإحرام .

والجملة الثانية صريحة في معنى آخر غير ما هو ملاك القذف لكنها نسبة توجب الاستخفاف والفضيحة .

والجملة الثالثة أيضا ليست صريحة في نسبة الزنا إليها ولا ظاهرة في ذلك فإن العذرة قد تزول بأسباب أخر غير المجامعة كما صرح بذلك في مرسلة الصدوق : إن العذرة قد تسقط من غير جماع قد تذهب بالنكبة والعثرة والسقطة .[٢١٧]

---

[٢١٧] وسائل الشيعة ج ١٥ ب ١٧ من أبواب اللعان ح ٦ أقول : قال في مجمع البحرين : النكبة في قوله : العذرة يعنى البكارة قد تذهب بالنكبة ، يعني الطفرة والعثرة .

ويدل على لزوم التعزير في خصوص هذا القول رواية يونس عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : في رجل قـــال لامرأته : لم أجدكِ عذراء قـــال : (يضرب) قلت : فإن عاد قال : (يضرب فإنه يوشك أن ينتهي)[٢١٨]

قال الشيخ المحدث الحر العاملي بعد نقل هذا الخبر : ورواه الكليني عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن عبيد عن يونس . . . وزاد : قال يونس : يضرب ضرب أدب ليس يضرب الحد لئلا يؤذي امرأة مؤمنة بالتعريض .

وأما باقي الألفاظ الذي ذكره المحقق قدس سره فقد صرح ببعضها في الروايات المتقدمة كرواية المدائني والسراج .

مضافا إلى أن نسبة الفسق أو فسق خاص إلى المسلم يوجب إيذاءه وهو يوجب التعزير .

---

[٢١٨] بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٦٢ ، وفي السفينة في رواية الطبرسي قال بعد قوله : فساء صباح المنذرين : يا عباد الطواغيت اخسأوا أخساكم الله فصاحوا يمينا وشمالا : يا أبا القاسم ما كنت فحاشا فما بدالك ؟ قال الصادق عليه السلام : فسقطت العنزة من يده وسقط رداؤه من خلفه ورجع يمشي إلى ورائه حياءا مما قال لهم .

أقول : هذه الرواية تتنافى مع معالي أخلاقه الكريمة فلا يمكن أن يصدر منه ذلك وهو منزه عن الفحش .

نعم هذا مخصوص بمن يواظب على الستر والإخفاء ويأبى عن التجاهر بالفسق فلو كان متجاهرا بالفسق فلا بأس برميه به وهو مستحق لذلك ولا تعزير عليه. [٢١٩]

هل كل ما يؤذي المسلم حرام ؟

ثم إنه بعد أن ثبت أن إيذاء المسلم حرام قطعا وبلا ترديد يأتي هنا سؤال وهو أنه هل يمكن الحكم بحرمة كل ما يتأذى منه المسلم وإن كان تأذيه على خلاف القاعدة لكونه بنفسه خلاف المتعارف وكان له شذوذ وحالات خاصة ؟ .

الظاهر خلاف ذلك وأن المعيار هو تأذيه المناسب بحيث كان عند متعارف الناس في موضعه ويحكم العرف بأنه كان حقيقا بأن يتأذى لا ما إذا كان يتأذى لكونه كثير التوقع سريع التأثر ينتظر من الناس مالا يطيقونه ويتوقع منهم مالا يتحمله المجتمع في محاوراتهم ومراوداتهم .

ومنه قد اتضح حال فرع آخر وهو أن بعض الناس يتأذون بمدحهم وبالكلمة الحسنة التي يقال فيهم فإنه لا مجال للحكم بالحرمة والتعزير هنا .

وعلى الجملة فالمعيار هو ما كان متعارفا فإيذاءه بهذا النحو وإلقاء كلمة إليه توجب ذلك يوجب التعزير .

---

[٢١٩] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٤٥ .

وأما أن كل كبيرة أو كل معصية يوجب التعزير أم لا فهو يحتاج إلى مزيد التتبع ومراجعة الأدلة وسيأتي البحث عن ذلك إنشاء الله تعالى .[٢٢٠]

إذا كان المقول له مستحقا فلا شيء على من عرضه

قال المحقق : ولو كان المقول له مستحقا للاستخفاف فلا حد ولا تعزير . وفي الجواهر في بيان وجه استحقاق الاستخفاف وموجبه : لكفر أو ابتداع أو تجاهر بفسق .

وحاصل الكلام أنه لو كان الرامي كافرا أو مبتدعا في الدين أو متجاهرا بالمعصية فهو مستحق للاستخفاف والإهانة به ولا بأس بذلك . وقال عند قول المحقق : فلا حد ولا تعزير ، : بلا خلاف بل عن الغنية الإجماع عليه بل وإشكال بل يترتب له الأجر على ذلك .[٢٢١]

[حرمة قذف المسلم وحرمة البهتان لغير المسلم]

---

[٢٢٠] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٤٥ .

[٢٢١] أقول : محل البحث هنا غير منقح وذلك لأن الظاهر بمناسبة المطالب السابقة هو ألقاء الألفاظ والعناوين الموهنة إلا أن نفي الحد في كلام المحقق ينافي ذلك ولذا قال في المسالك : ويظهر من قوله : فلا حد ولا تعزير أن بعض المذكورات يوجب الحد والا لما كان لنفيه فائدة وليس كذلك لأنها في جميعها يوجب التعزير إلا أن يريد بنفي الحد في حقه على تقدير قذفه بالزنا مع تظاهره به فإن القذف مما يوجب الحد في غيره ولكن سيأتي أنه يوجب التعزير والأولى ترك الحد ، والاقتصار على نفي هذا التعزير كما صنع في القواعد انتهى .

أقول : أما الكافر فهو وإن كان يدل على جواز قذفه بعض الروايات إلا أن في بعضها الآخر ما يخالف ذلك فعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام إنه نهى عن قذف من ليس على الإسلام إلا أن يطلع على ذلك منهم وقال : أيسر ما يكون أن يكون قد كذب .[222]

وعن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام : أنه نهى عن قذف من كان على غير الإسلام إلا أن تكون قد اطلعت على ذلك منه .[223]

فمقتضى هـــاتين الروايتين أن قذف غير المسلم منهي عنه مع عدم إطلاع على فعله وأما مع الاطلاع فلا بأس به .

وعليه فالفرق بين المسلم والكافر في أنه لا يجوز القذف بالنسبة إلى المسلم مطلقا صادقا أو كاذبا وأما بالنسبة إلى كافر فلا يجوز بدون الإطلاع أي كاذبا وأما صادقا كما إذا كان قد رأى ذلك منه فلا بأس به ، ومع ذلك فلا تعرض فيهما للتعزير وعدمه .

وعن أبي الحسن الحذاء قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسألني رجل ما فعل غريمك ؟

---

[222] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١ من أبواب القذف ح ١ .

[223] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١ من أبواب حد القذف ح ٢ .

قلت : ذاك ابن الفاعلة فنظر إلي أبو عبد الله عليه السلام نظرا شديدا قال : فقلت : جعلت فداك إنه مجوسي أمه أخته فقال : (أو ليس ذلك في دينهم نكاحا ؟)[٢٢٤]

وهنا أيضا وإن لم يكن تعرض بالنسبة إلى الحد أو التعزير إلا أنه ظاهر في الحرمة والمعصية .

وعن غياث بن إبراهيم عن جعفر عن أبيه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : يا رسول الله إني قلت لأمتي : يا زانية .

فقال : (هل رأيت عليها زنا ؟)

فقالت : لا .

فقال : (أما إنها ستقاد منك يوم القيامة) فرجعت إلى أمتها فأعطتها سوطا ثم قالت : اجلديني فأبت الأمة فأعتقتها ثم أتت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته .

فقال : (عسى أن يكون به)[٢٢٥]

ويستظهر من هذا ترتب الحد أو التعزير مضافا إلى الحرمة ، كما يستفاد منه أيضا أنه لو عفى صاحب الحق فلا بأس به ويسقط بذلك الحد .

---

[٢٢٤] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١ من إبواب حد القذف ح ٣ .

[٢٢٥] وسائل الشيعة ج ١٨ ب ١ من أبواب حد القذف ح ٤

لا يقال : إنه يستفاد منه أيضا أن أمر الحد أو التعزير يكون بيد غير الحاكم أيضا .

لأنه يقال : لا دلالة له على ذلك لأنه وقع الأمر وتحقق تحت نظر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبإمضائه صلوات الله عليه .[٢٢٦]

وكيف كان ليس المقصود من جواز قذف الكفار جوازه على الإطلاق بل في الجملة فإن الأخبار على طوائف مختلفة ، وسيأتي كلام آخر في ذلك - في البحث عن المقذوف فانتظر .

هذا بالنسبة إلى الكافر .

وأما المبتدع فيجوز ذكره بسوء لأنه مستحق للاستخفاف ففي رواية داود بن سرحان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام - ويحذرهم الناس - ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة)[٢٢٧]

---

[٢٢٦] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٤٧ .

[٢٢٧] وسائل الشيعة ج ١١ ب ٣٩ من أبواب الأمر بالمعروف ح ١ .

ترى أنه قد جوز بمقتضاها البهتان والافتراء عليهم وحيث إن الكذب غير جائز فلا بد من القول بأنه قد جوز الكذب هنا للمصلحة وهي سقوط اعتبار المبتدع وكسر جاهه في أنظار الناس كيلا يميلوا إليه فيضلوا به وإلا فالبهتان والكذب ليسا بجائزين .[٢٢٨]

وأما المتجاهر بالفسق فجواز إهانته مما نص عليه في الأخبار .[٢٢٩]
ففي رواية هارون بن الجهم عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : قال : (إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة)[٢٣٠]

---

[٢٢٨] قال الشيخ علي الجهرمي المقرر لبحث السيد الكلبيكاني : كأنه دام ظله العالي كان قاطعا بأن قوله عليه السلام : باهتوهم بمعنى البهتان والحال أنه محل البحث فإنه أن : بهته بهتا أي أخذه بغتة .

وقال العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول ج ١١ ص ٨١ بشرح الخبر : والظاهر أن المراد بالمباهتة إلزامهم بالحجج القاطعة وجعلهم متحيرين لا يحيرون جوابا كما قال تعالى : فبهت الذي كفر ، ويحتمل أن يكون من البهتان للمصلحة فإن كثيرا من المساوي يعدها أكثر الناس محاسن خصوصا العقائد الباطلة والأول أظهر قال الجوهري : بهته بهتا أخذه بغتة وبهت الرجل بالكسر إذا دهش وتحير إلخ .

وقال في رسالته الفارسية الموسومة بـــ حدود وقصاص وديات ص ٢٨ : عند ذكر الرواية : وبرايشان حجت تمام كنيد تاايشان طغيان نكنند در فاسد كردن دين اسلام .

وترى أن صاحب الرياض بعد نقل الرواية قال : ولا تصح مواجهته بما يكون نسبته إليه .

[٢٢٩] كذبا لحرمته وإمكان الوقيعة فيه من دونه إلخ .وعن الغنية الإجماع عليه .

[٢٣٠] وسائل الشيعة ج ٨ ب ١٥٤ من أبواب أحكام العشرة ح ٤ .

وعن قرب الاسناد عن أبي البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : (ثلاثة ليس لهم حرمة : صاحب هوى مبتدع والإمام الجائر والفاسق المعلن بالفسق)[٢٣١]

نعم غيبته في غير ما تجاهر به من المعاصي مشكل فيقتصر في غيبته على المعصية المتجاهر بها .

فتحصل أن التعريض ونسبة السوء إلى الأشخاص يوجب التعزير إن حصل شرائط التعريض لا مع عدمه وهو في مورد الكافر الرؤية والإطلاع على ما رأيت في بعض الأخبار الماضية[٢٣٢] وفي مورد الفساق الفسق المتجاهر بها وفي غيرهما البدعة في الدين .

ثم لا يخفى أن المحقق رحمه الله نفى في هذا المقام كلا من الحد والتعزير فقال :

لا حد ولا تعزير ، وقال في البحث عن المقذوف وعند اشتراطه فيه البلوغ وكمال العقل والحرية والإسلام والعفة : فمن استكملها وجب لقذفه الحد ومن فقدها أو بعضها فلا حد وفيه التعزير .. انتهى .

فحيث إنه صرح بلزوم تعزير القاذف إذا قذف الكافر مثلا فلا بد أن يكون قوله في المقام : فلا حد ولا تعزير .. متعلقا ومربوطا بالتعريض

---

[٢٣١] وسائل الشيعة ج ٨ ب ١٥٤ من أبواب أحكام العشرة ح ٥ .

[٢٣٢] وقد علمت أن تلك الأخبار واردة في قذف الكافر ومتعلقة بحدة لا تعزيره اللهم إلا أن يتمسك بتنقيح المناط .

وعليه فمعنى الكلام أن التعريض الذي لو كان بالنسبة إلى المسلم لكان موجبا للتعزير فلا يوجب ذلك إذا كان بالنسبة إلى الكافر فلا تعزير هنا كما لا حد [٢٣٣].

أقول : إنما ذكرنا هذا الكلام العلمي الذي عادة يطرح في الدروس العالية لأبحاث الخارج - وقد يكون من الصعب على سائر الناس التعرف على مغزاه - لأنه قد انتشر في الآونة الأخيرة ممن يدعي العلم والمعرف من القذف والسب والشتم والبهتان والكذب والزور لكل من يختلف معه في الرأي أو التقليد فضلا من أن يختلف معه في المذهب وصارت تلبس بلباس العلم والدين وأن من يتقي الله يراقب الله في كل شيء ويتحرج من غيبة المخالف فضلا عن الموالف .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الاحساء- العمران الحوطة

١٣ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

---

[٢٣٣] در المنضود - السيد الكلبيكاني ج ٢ ص ١٥٠ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة